سيد قطب على خطى البنا

عندما وضع حسن البنا الحرف الأول فى الفكرة الاخوانية، وعندما اتهم أعداء الدعوة للخلافة بالكفار ودعاة النقل عن الثقافة الغربية بالملاحدة، وعندما قرر أن يستحوذ وحدة على حق الأداء العلنى للتأسلم قائلاً عن برنامج جماعته "هذا المنهاج كله من الإسلام وكل نقص منه نقص من الإسلام ذاته" فإنه كان يرسم الخط المؤدى إلى العنف وإذا كنا نؤكد دوماً أن "الإرهاب يبدأ فكراً، فإن التطرف بالفكر المتأسلم إلى أقصى مداه يندفع فى الواقع العملى إلى الإرهاب بأقصى مداه. ويجيئ سيد قطب ليمضى بالخط الذى رسمه حسن البنا لأفكار الجماعة على استقامته ويمضى بها حتى نهايته المريرة. يقول أحد الموالين لسيد قطب "والأستاذ سيد قطب صاحب كتاب معالم فى الطريق يعد فى ميزان الرجال عماداً هائلاً فى تجديد

شباب الحركة الإسلامية والامتداد الفكرى والحركى لجماعة الإخوان المسلمين" [صفوت منصور - المنهج الفكرى للعمل الاسلامى - الإخوان المسلمون - صـ٩٣] ثم يعود ليؤكد "أن فكر الأستاذ سيد قطب هو امتداد لفكر جماعة الإخوان المسلمين وتجديد لشبابها الفكرى والحركى" [المرجع السابق - صـ٩٨]. وقد لا يهتم الإخوان إزاء هذا القول الآتى ممن لا تشتهر علاقتهم بالجماعة. فماذا يكون رأيهم إزاء ما قرره واحد من أكبر قادة الجماعة المخضرمين الأستاذ صلاح شادى رئيس الجهاز السرى للجماعة فى الجيش والبوليس المسمى جهاز الوحدات قائلاً بوضوح "لقد كان حسن البنا البذرة الصالحة للفكر الاسلامى، وكان سيد قطب الثمرة الناضجة لهذا الفكر" [صلاح شادى - الشهيدان حسن البنا وسيد قطب - صـ٧٧]. والذى يعرف قيمة الإمام حسن البنا عند أعضاء الجماعة المخضرمين ويعرف الفارق بين مجرد البذرة وبين الثمرة الناضجة يمكنه أن يعرف قيمة سيد قطب عندهم. وعلى مدى طويل ظلت علاقة الإخوان بسيد قطب غائمة فعندما نجابههم بفكرة التكفيرى الصارخ يقولون أن المرشد حسن الهضيبى خالفه بكتاب "دعاه لا قضاه" وعندما نطالبهم بنقد ولو طفيف لفكر قطب يتهربون ولا يتجاسرون، ثم نواجههم بكتابات لزينب الغزالى التى أكدت أن المرشد الهضيبى كان فى حقيقة الأمر مؤيداً لكتاب معالم فى الطريق، أو بكتابات صفوت منصور وصلاح شادى يهزون أكتافهم صامتين. والآن أتوا إلى مقعد المرشد العام بالدكتور محمد بديع

المشتهر بأنه قطبى الانتماء، ويواصلون طباعة كتب سيد قطب سواء الظلال أو المعالم. ناسين أن كل من يقرأ هذه الكتب ويقتنع بما فيها، يلتزم بأشد أنواع الإرهاب وناسين أن كل المتأسلمين الارهابيين فيالعصر الحديث من بن لادن إلى الظواهرى إلى الشياشانيين فى بوسطن كلهم يدعون "قطبيين". ولعل هذا يفسر لنا سر العلاقة بين حكم د. مرسى وبين قاعدة تنظيم القاعدة فى وسط سيناء والإفراج عن رجالها والتغاضى عن سيل الأسلحة المتدفق عليها سواء من الإنفاق أو غيرها..

وهنا تصبح دراسة سيد قطب تاريخاً وفكراً أمراً لا يتعلق بالتاريخ فحسب وإنما بطبيعة ومنهجية ومستقبل نظام الحكم فى مصر.

***

والحقيقة أن سيد قطب شخصية محيرة فتغيُّره الفكرى محير، وأسلوب معاملته فى السجن محير أيضاً. وأنا كواحد ممن عاصروه فى السجن وأعرف كيف عومل معاملة ليست مميزة فحسب وإنما أكثر بكثير من كونها مميزة، فقد قضى طوال فترة السجن فى مستشفى السجن ولقد كان مريضاً حقاً ولكن كثيرين من المرضى سواء من الشيوعيين أو الإخوان تركوا للموت فى الزنازين. وفى زمن كان القلم والورق ممنوع منعاً باتاً كان هو يكتب ويؤلف، وتدخل له المراجع وما يكتبه يخرج من السجن رسمياً ويطبع بشكل قانونى، وحتى كتاب المعالم كتب فى السجن وخرج رسمياً من

السجن وطبع بشكل قانونى ووزع أيضاً. ثم أفرج عنه صحياً [قيل أيامها أنها واسطة من عبد السلام عارف عندما كان رئيساً للعراق].. ويفسر البعض الإفراج عنه بأنه كان خطة لإعدامه. ونمضى لنتصفح سيرة الرجل الذى كان ولم يزل وسيظل محيراً.

***

ولعلها مصادفة مثيرة للدهشة إذ سار قطب ذات المسيرة التعليمية لحسن البنا.. فالفتى الذى ولد عام ١٩٠٦ فى قرية موشا بمحافظة أسيوط دخل مدرسة المعلمين (١٩٢٥) ثم إلى دار العلوم (١٩٢٨) ليخرج منها عام ١٩٣٣ ثم عمل مدرساً للغة العربية وصعد فى سلم وزارة المعارف وعبر علاقات أدبية وصحفية ليصبح مراقباً مساعداً للبحوث الفنية والمشروعات بالوزارة حتى استقالته عام ١٩٥٢.

وخلال هذه المرحلة برز سيد قطب ككاتب وشاعر وأديب وناقد وعاش قريباً ومقرباً من عباس العقاد واستفاد كثيراً من هذه العلاقة. ويقول عادل حمودة "كان العقاد وراء تقديم سيد قطب إلى معظم الصحف والمجلات التيكتب فيها" ثم "وبعد علاقة قوية استمرت طوال ربع قرن اختلفاً وانفصلا وكان السبب رفض العقاد أنه يكتب مقدمه لأحد كتبه" [عادل حمودة - سيد قطب من القرية إلى المشنقة - سيرة الأب الروحى لجماعات العنف - (١٩٩٦) - صـ٥٠] ويبدو أنها واحدة من المكونات الفكرية والأخلاقية المعقدة للأستاذ سيد قطب، يحب حباً غامراً ثم ينقلب إلى عداء مستعر.

فقد كان الأمر كذلك مع طه حسين فقطب يهدى كتابه "طفل القرية" الذى ضاهى به "الأيام" لطه حسين "إلى صاحب كتاب الأيام - إلى د. طه حسين بك، إنها يا سيدى أيام كأيامك عاشها طفل فى القرية، فى بعضها من أيامك تشابه، وفى سائرها عنها اختلاف، اختلاف بمقدار ما يكون بين جيل وجيل، وقرية وقرية، وحياة وحياة" [سيد قطب - طفل القرية - (١٩٤٥) ، صـ٢] ثم ينقلب ضد طه حسين مهاجماً إياه هجوماً شديداً لديداً فيقول "إن مذهب طه حسين هو طه حسين نفسه، أى أنه موهبة بلا امتداد وبلا تلاميذ" [سيد قطب - كتب وشخصيات - صـ١٥٥]. ويقول البعض أنه هاجم طه حسين إرضاء للعقاد الذى كان فى معركة حامية ضد طه حسين، ويقول آخرون أن شهرة سيد قطب النقدية جاءت بسبب هجومه على العقاد وطه حسين" [عادل حمودة - المرجع السابق - صـ٤٩]. لكن مثل هذا التقلب هو أخف أشكال التقلب الفكرى والعقيدى والشخصى عند سيد قطب.

فسيد قطب يبدأ خطى شهرته أديباً وناقداً وشاعراً وكاتباً ويقدم لقرائه أفكاراً صارخة ذات طابع ليبرالى براق وأيضاً ذات طابع رومانسى حالم، فهو يكتب عديداً من المقالات والدراسات عن الترجمة التى قام بها د. إبراهيم الشواربى لغزليات الشاعر الفارسى حافظ شيرازى وينتقى من حديقتها العبارات الأكثر رومانسية وعذوبة "إن شفه الحبيب ياقوته ظمأى إلى الدماء وأنا من أجل رؤيتها أضحى بالروح" وكذلك "مبعثر الخصلات، محمر الوجنات،

ضاحك الأسنان تلعب به الخمر، سكران، ممزق القميص، يتغنى بالألحان، فى يده إبريق من بنت ألحان، وها قد شربنا ما صبه الساقى فى رؤوسنا" [سيد قطب - كتب وشخصيات - المرجع السابق - صـ٧٣] ويمضى قطب معلقاً فى رومانسية هو الآخر فيقول " إن كاتب هذا الشعر نشوان بالخمر الإلهية أو النواسية [نسبه لأبى نواس] وليقل ما يشاء وكيف يشاء فهو خير عند نفسه وعند الله من المرائين والمنافقين ومن الوعاظ الثقلاء" [المرجع السابق - صـ٧٥] وبكلمات كهذه نال قطب من خصومه هجمات قاسية إتهمته بالكفر. أنه ذات الكأس الذى سقاه قطب لمخالفيه عندما أنقلب متأسلماً. ففى معركة قطب دفاعاً عن العقاد هاجمه د.محمد الغمراوى الذى يناصب العقاد العداء مؤيداً الرافعى فى المعركة ضده وقال "إن المسألة ليست إختياراً بين أدب وأدب كما تبدو فى المعركة بين القديم والجديد، ولكنها فى صحيحها مسألة اختيار بين دين أو لا دين" ويرد قطب رداً صاعقاً "قد والله أخفتنا وأفزعتنا وأنت تجعل المسألة ديناً أولا دين، وتلخص المعركة بين المدرستين القديمة والجديدة فى أنها المعركة بين أهل الجنة وأهل النار. نعم هكذا مرة واحدة، ومن لم يكن قد عرف الخوف فليعرفه الآن، فها هو ذا رجل يمسك بيده ميزان الحسنات والسيئات،فأما من كان مع الرافعى فقد أزلفت له الجنة،وأما من كان مع العقاد فقد فتحت له جهنم أفواهها، ويهاجم الغمراوى لأنه ليس من أهل الاختصاص فقد كان أستاذاً للكيمياء بكلية الطب فيقول "إن الدين هو صيحة الواهن الضعيف

يحتمى بها كلما جرفه التيار وهو لا يملك من أدوات السباحة ولا وسائلها شيئاً. وأشد الجناة على الدين المشوهين له والمشككين فيه هم أولئك الذين يضعونه مقابلاً للعلم تارة،والفن تارة ثم يحكمون أيهما أصلح وأولى بالأتباع".. ثم يقول"الدين.. قولوها مائة مرة فلسنا والحمد لله ممن تخيفهم هذه الصيحات الفارغة ونحن أكثر منكم دراسة وفهما للدين" [الرسالة - ١٨ يوليو ١٩٣٨ - مقال السيد قطب] والآن هل نعيد نشر هذا المقال لنضعه فى أعين الذين يتبعون الفكر التكفيرى لسيد قطب دون معرفة بصحيح الدين؟ وإذا كان سليمان فياض يؤكد أنه سمع بأذنيه سيد قطب وهو يقول أنه ظل ملحداً أحد عشر عاماً ثم عاد من حيرة الإلحاد إلى طمأنينة الإيمان" [الهلال سبتمبر ١٩٨٦ - مقال سليمان فياض] فإن دارساً آخر يقول إنه درس كتابات سيد قطب طوال هذه الفترة ولم يجد فيها ما يشير إلى إلحاد أو زندقه" [حلمى النمنم - سيد قطب وثورة يوليو (١٩٩٩) - صـ٣٥] كما أن أحد المقربين من سيد قطب طوال هذه المرحلة يقول "قال زنديق لسيد قطب إن إثبات وجود الله أمر صعب فرد عليه قائلاً ولكن نفى وجوده أصعب، وكان يردد دائماً "إن الدين ضرورى لقيادة القطعان البشرية ولا يمكن أن يسلس قيادها بغيره [عباس خضر - هؤلاء عرفتهم - سلسلة أقرأ - مارس ١٩٨٣- صـ٥٦] ويروى الأستاذ محمود عبد الحليم المؤرخ المعتمد لجماعة الإخوان أنه "قرأ مقالاً منشوراً فى أهرام ١٧ مايو ١٩٣٤ للأستاذ سيد قطب يدعو فيه للعرى وإلى أن يسير الناس فى

الشوارع عراة تماماً وأنه عرض على الأستاذ البنا أن يرد عليه لكن البنا منعه حتى لا تشتهر هذه الفكرة ولعل الله يهدى سيد قطب" [محمود عبد الحليم - المرجع السابق - الجزء الأول - صـ ١٩٠] فيما يؤكد الأستاذ شريف يونس أنه بحث عن هذا المقال المزعوم فى عدد الأهرام المذكور وفيما سبقه وما تلاه من أعداد فلم يجد مقالاً هكذا" [شريف يونس - سيد قطب وأثره فى الفكر السياسى - رسالة ماجستير غير منشورة] والحقيقة أن مقالاً هكذا لو كان صحيحاً لكان قد أحدث ضجيجاً لا يمكن إخفاء أثره، بل أن سيد قطب قد نشر مقالات عدة يبشر فيها برفض الاختلاط بين الجنسين" [البلاغ الاسبوعى - أعداد ابريل - مايو ١٩٢٩]. فما هو الهدف من ترويج الإخوان لفكرة الدعوة للعرى فى الطريق العام هذه، خاصةبعد أن أصبح سيد قطب إخوانياً.. هل هو الزعم بغرس فكرة أن الانضمام إلى الإخوان هو السبيل للخلاص من الإلحاد والإباحية ؟ أم غرس الإيمان بأن حسن البنا كان ملهما يستشرف ما سوف يحدث بعد عشرين عاماً ؟ أما سيد قطب نفسه فقد كتب فى قمة كتبه المتطرفة "معالم فى الطريق" "إن الذى يكتب هذا الكلام عاش يقرأ أربعين سنة كاملة كان همه الأول فى القراءة والاطلاع فى مختلف حقول المعرفة الإنسانية وما هو فى تخصصه، وما هو من هواياته ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم، وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين عاماً من عمره، فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها

وإنتفاشها، وعلى غرورها وإدعائها وعَلم عِلم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين فى التلقين" [سيد قطب - معالم فى الطريق - (طبعة ١٩٨٠) - صـ١٤٣] ونقرأ تعليقات ثلاث لعلها مهمة لفهم هذه الشخصية. عادل حمودة قال "لقد كان لسيد قطب أكثر من وجه، وأكثر من لون وأكثر من لقب فهو معلم وشاعر ومفكر ومفسر وملحد ومسلم ومتطرف ومصلح ومبدع ومجاهد ومجتهد وشهيد، فتحولاته حادة وتغيراته مذهلة وصورته لم تحبس نفسها فى إطار ثابت" [عادل حمودة - المرجع السابق - صـ٧] ويكتب د. حسن حنفى "لقد تحول شاهد قبره أو ضريحه الى مزار للجماعات والتنظيمات الإسلامية المتطرفة تستلهم منه الوحى، وتحاول تفسير أقواله وأفعاله على هواها، فهى بحاجة الى أب روحى تستند إليه فى حيثيات حكمها على جاهلية المجتمع وتستخدمه لتبرير الرصاص الذى تطلقه" [د. حسن حنفى - الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢- ١٩٨١ - جزء ٦ (١٩٥٩) صـ٤٤]. . أما نجيب محفوظ فيتحدث فى "المرايا" عن شخص أسماه محفوظ عبد الوهاب إسماعيل ووصفه قائلاً "استقر فى نفسى رغم صداقتنا نفور دائم منه فثمة جانب انتهازى فى شخصيته وتعصب شديد ضد غير المسلمين ولم أرتح أبداً لسحنته ولا لنظره عينيه الجاحظتين" [نجيب محفوظ - المرايا] أما التعليق الأخير فهو أن كثيرين من هؤلاء الإرهابيين المتأسلمين فى كل العالم والذين ارتكبوا أبشع الجرائم التى أساءت إلى صورة الإسلام والمسلمين قد وجدوا فى كتابات سيد

قطب الأخيرة المبرر والسند والحجة، ولعل الكثيرين منهم أسالوا دماء كثيرة وتسببوا فى خراب كبير لا لأنهم قرأوا وإنما لأنهم سمعوا ما قيل أن سيد قطب قاله مجرد سماع فهل نسينا أن الارهابى الذى حاول اغتيال نجيب محفوظ كان أمياً لا يقرأ.. وإنما سمع من أميره أن محفوظ كافر ؟وكذلك كان من اغتال د. فرج فودة.

وكانت رحلة سيد قطب إلى أمريكا هى المقدمة لهذا الانقلاب الكبير فى حياة وفكر ومواقف سيد قطب. [أنه ذات الانقلاب الكبير الذى حدث فى فكر ومواقف العقيد الزمر الذى سافرإلى أمريكا قيادياً فى المخابرات العسكرية ثم عاد ليصبح قيادياً فى تنظيم الجهاز الارهابى، ولست أريد بإيراد هذه المفارقة أن أعقد ولو بأقل قدر مقارنة بين الرحلتين] وعلى أيه حال فإن أحداً من المحيطين بسيد قطب أو زملائه فى وزارة المعارف لم يكن متوقعاً لهذه البعثة. فسيد قطب أُختير وسنة ٤٢ عاماً وأكثر قليلاً وهو سن لا يعطيه الحق فى البعثة، وقد اختير لبعثة دون مسابقة، ولتبرير اختياره أنتدب بلا مبرر من عمله فى ديوان الوزارة الى مكتب الوزير، كما أن البعثة كانت لدراسة التربية ومناهج التدريس ولم يكن هذا تخصصه، بينما كان هناك عشرات المتخصصين فى هذا الموضوع أجدر منه بالبعثة، لكن الأهم من ذلك كله أن هذه أبعثة كانت فريدة فى نوعها ولم يحدث مثلها لا قبلها ولا بعدها فهى بعثة حرة لم يكن مقرراً لها أيه دراسة محددة أو حتى جامعة محددة، بل هى بعثة

حرة ترك له الحق فيها للتجول فى أمريكا والإقامة حيث يشاء والالتقاء بمن يشاء. وبقى قطب فى أمريكا ثلاث سنوات حيث عاد فى منتصف ١٩٥١. وقد أثارت هذه الملابسات دهشة ولغطا بل واتهامات تبقى من قبيل الاستنتاجات تماماً مثل المعاملة المميزة جداً لسيد قطب فى مستشفى سجن طره. واتجه البعض الى النظر بسوء نية. فقال د.الطاهر مكى "هذه الزيارة كانت وليدة تخطيط أمريكى. وإن كان سيد قطب بعيداً عن هذا التخطيط، ولم يكن يدرى أنه جزء من رهان أمريكى، وإن كان قد اعترف فيما بعد لرفيقه فى السجن سيد سالم بأنه قد وقع تحت إغراء الأوساط الأمريكية بكل الوسائل ولكنه لم يسقط فى شباك أى منها، لكنه على أيه حال عاد من أمريكا ساخطاً عليها معادياً لها" [الهلال أكتوبر ١٩٨٦- د. الطاهر مكى - مقال: سيد قطب وثلاث رسائل لم تنشر بعد] أما عادل حمودة فيوشك أن يعلق الاتهام فى عنق سيد قطب قائلاً "إن أمر هذه الزيارة مثير للحيرة والقلق، ويرسم عديداً من علامات الاستفهام والتعجب فقد جاءت فى وقت كان سيد قطب فيه يهاجم النظام الملكى بمقالات نارية، ثم لماذا أمريكا بالذات فى تلك الفترة وقد كانت بريطانيا أولى وأقرب دوماً بالنسبة لمن يريدون دراسة المناهج التربوية الغربية" [عادل حمودة - المرجع السابق - صـ٨٥]. ويتعلق بهذه التساؤلات على الدالى فيكتب "يرى البعض أن سفر قطب إلى أمريكا كان أمراً مثيراً للدهشة، كما عبر صديقه يحيى حقى عن دهشة أكبر لانضمام سيد

قطب إلى الإخوان بعد عودته من أمريكا ". [على الدالى - جذور الإرهاب - القصة الحقيقية للإخوان (١٩٩٣) صـ٤٠] كما أن البعض أثار سؤالاً آخر يبعث إلى الدهشة وهو أنه وبعد أن أنفقت عليه وزارة المعارف فى رحلة حرة لمدة ثلاث سنوات عاد ليقدم استقالته على الفور من العمل الحكومى. ولكن هناك تفسيراً آخر أكثر إثارة للدهشة. فهناك ترجمة إلى العربية لكتاب هيوارث دين وهو لم يخف فى كتاباته انه كان عميلاً للمخابرات الأمريكية مكلفاً بدارسة جماعة الإخوان والكتاب عنوانه "الاتجاهات الدينية والسياسية فى مصر الحديثة". وكتب مقدمته وعلق عليه على العميم إن قال أن هيوراث كان بنفوذ المخابرات الأمريكية وراء إيفاد قطب لأمريكا فى محاولة لكسبه باتجاه الديمقراطية الأمريكية [ترجمة أحمد الشنبرى - تقديم على العميم - دار الجداول - بيروت ٢٠١٣] أما حكايات ورسائل سيد قطب من أمريكا وعنها وعن علاقته الحميمة بالكنيسة الانجليكانية الى درجة أنه كان عضواً فى أندية العديد من الكنائس فى كل جهة ذهب إليها. فهى أمر بعيد عن دراستنا.

ويتبقى فى حياة سيد قطب عشرات الألغاز منها اندفاعه فى تأييد ثورة يوليو فور قيامها وكيف سعى جاهداً لدفعها دفعاً إلى طريق الديكتاتورية وهو ذات الطريق التى ناصبها العداء فيما بعد بسببه، ثم كان نصيبه الشخصى من هذا الطريق الغاشم الذى رسمه لها هو المشنقة.

ونقرأ عديداً من مقالات سيد قطب يلح فيها على ضباط يوليو ضرورة انتهاج سبيل الديكتاتورية. ومنها ماكتبه فى جريدة الأخبار مهاجما اقتراح بعض الضباط العودة إلى الثكنات ومقترحاً استمرار الضباط فى الحكم "بدلاً من أن تسيروا فى هذا الطريق إلى نهايته، وبدلاً من أن تضربوا الحديد وهو ساخن، بدلاً من أن تقتحموا أوكار اللصوص، آثرتم أن تنسحبوا إلى الثكنات وأن تتركوا المجال إلى رجال السياسة، هؤلاء الذين امتطى الملك الراحل ظهورهم فى أغراضه واتخذ منهم أدوات لإذلال الشعب وإهانته، أقول ذلك بإسم الملايين الذين لن يسمحوا لكم بالعودة إلى الثكنات لأن مهمتكم لم تنته بعد وعليكم أن تكملوا واجبكم". ثم يهاجم دستور ٢٣ واصفاً إياه "بأنه الخدعة التى يطنطن بها رجال السياسة ليفرقوا بها وثبتكم". ثم هو يطالب صراحة بدكتاتورية عادلة ونظيفة حتى يتم التطهير" ثم قال "لقد إحتمل الشعب ديكتاتورية طاغية باغية شريرة مريضة على مدى خمسة عشر عاماً أو تزيد أفلا يحتمل ديكتاتورية عادلة نظيفة ستة شهور على فرض أن قيامكم بحركة التطهير يعتبر ديكتاتورية" [الأخبار - ٨أغسطس ١٩٥٢ - مقال لسيد قطب بعنوان استجواب إلى البطل محمد نجيب] وكان هذا المقال موجها بالأساس ضد خالد محيى الدين وعديد من ضباط سلاح الفرسان الملتفين حوله الذى طالبوا بالديمقراطية وإجراء انتخابات برلمانية وعودة الجيش إلى ثكناته. وعندما وقعت أحداث كفر الدوار والتى تلت إضراب العمال هناك كتب سيد قطب

محرضاً على العمال المضربين قائلاً "هى حركات لا تخيفنا، إن الرجعية لن تقف مكتوفة اليدين وهى تشهد مصرعها.. أن عهداً بأكمله يلفظ أنفاسه الأخيرة فى قبضة قوية مكينة فلا بأس بأن يرفس برجليه لكنه عهد قد انتهى ومات، إنما المهم أن نشرع فى الإجهاز عليه وأن تكون المدية حامية فلا يطول الصراع، لقد أطلع الشيطان قرنيه فلنضرب بقوة، ونضرب بسرعة.أما الشعب فعليه أن يحضر القبر وان يهيل التراب" [الأخبار ١٥ أغسطس ١٩٥٢ مقال لسيد قطب] وبعد أيام كتب مقالا عنيفاً فى مجلة الإذاعة والتليفزيون يطالب فيه عمال كفر الدوار بالا ينتظروا محاكمة المضربين وإنما أن يبادروا هم بإعدامهم" وهو يلح على رفض دستور ٢٣ ويقول " إما الثورة وإما دستور ٢٣ ولا بقاء للاثنين معا. فيجب أن نتخلص من هذا الدستور " [روزا ليوسف ١٩ أغسطس ١٩٥٢ - مقال لسيد قطب] وهو يصمم على أن يحكم الجيش منفردا ويستبعد الجماهير تماما مؤكدا "من مصلحة الجميع أن يظل الزمام فى أيدى قوة نظامية طاهرة نظيفة، وألا يقف الحمقى فى طريقها فهى أقوى من كل ما يظنون، وهى ستسحقهم سحقا وطريقة القوة المنظمة فى الشعب أسلم من طريقة الجماهير" [روزا ليوسف - ٢٦ أغسطس ١٩٥٢- مقال لسيد قطب]. . هكذا قالها سيد قطب ستسحقهم سحقاً.. فسحقه عبد الناصر سحقاً فيما بعد. ويهاجم سيد قطب الأحزاب جميعاً ويقول "لم يخب ظنى فى هذه الأحزاب القديمة، كنت أدرك أنها إنتهت، تجمدت، فقدت القدرة على الحركة

فلم تعد صالحة للبقاء ولا قابلة للشفاء فتحولت إلى تروس صدئه فى الجهاز الاجتماعى الفاسد الذى يكافحه الشعب" [روزا ليوسف - ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ - مقال لسيد قطب] وفى هذا المقال هاجم النحاس باشا وقال "الوفد حزب شاخ وانتهت أيامه ومصطفى النحاس شاخ وانتهت أيامه". ويستند سيد قطب إلى علاقته الحميمة بعبد الناصر فيشن هجوماً مثيراً للدهشة على كبار الفنانين أم كلثوم وعبد الوهاب وليلى مراد وفريد الأطرش ومحمد فوزى فى مقال مفزع بعنوان "اسكتوا هذه الأصوات النجسة" وقال إن واجبنا هو حماية الجماهير من هذه الأصوات التى تحبها الجماهير كما تحب المخدرات، ولنخرس هذه الأصوات الدنسة إلى الأبد" [الرسالة ٢٢ سبتمبر ١٩٥٢ - مقال لسيد قطب]. واستجابت الإذاعة فمنعت هذه الأصوات حتى علم عبد الناصر فألغى القرار.

ويبقى بعد ذلك أن سيد قطب هاجم عبد الناصر ونظامه بذات العنف الذى أيده به. ويبقى أيضاً أن نلتقى مع أفكار سيد قطب التى جعلت منه قطباً لكل الإرهابيين المتأسلمين الذين يسمون عن حق بالقطبيين.

ونأتى بعد هذه الرحلة مع سيد قطب الى آخر ما تبقى منه. فكره المتأسلم فالجميع نسوا كل سيد قطب والمثقف والناقد والأديب والشاعر والمتقلب، ونسوا حتى ما كتبه فى الإسلام وحوله ولم يتبق فى أذهان هذا الجميع رافضين وتابعين، أعداء وموالين، سوى فكرة التكفيرى وما تعلق فى عنقه من الإرهاب المتأسلم ما وقع منه وما

سيقع. وفى أول الكتابة قلت أنه أمسك بما قاله حسن البنا ثم مد الخط على استقامته، ثم فسره وفق رؤية أكثر تطرفاً وبصراحة لم يتجاسر عليها البنا. ويقدم الكثيرون نماذج لذلك لكن النموذج الأكثر تداولاً هو أن حسن البنا تحدث كثيراً عن آية فى القرآن الكريم "إن الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" [التوبة - ١١١] يقولها البنا ويكتفى، ويترك ما بعدها مفتوحاً لمن أراد المزيد، ويترك تفسيرها أيضاً مفتوحاً حسب الحاجة. لكن قطب أكمل الآية وأشبعها تفسيراً على هواه. "بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون" مؤكداً أن الجهاد فى سبيل الله بيعه معقودة بعنق كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله" [سيد قطب - معركتنا مع اليهود - صـ٦٣] وفى السجن الحربى كان المتهم المقدم لمحاكمة عسكرية يطلب منه أنه أن يكتب بنفسه ما يسمى "إقرار المتهم" وقد كتب سيد قطب إقراران.. أحدهما مختصر لم يعجب المحقق، فعاد وتحت الضغط الى كتابه إقرار موسع اعترف فيه بما يعتقد البعض أنه كل شئ. وفيه أعترف بأنه حاذر فى الإقرار الأول من أن يسئ إلى الشباب الذين قبض عليهم معه ولكن "وبعد أن أعترف الآخرون بكل شئ على أنفسهم وعلى الآخرين" فإنه يكتب أيضاً كل شئ. وقد نشر هذا الإقرار الثانى فى مجلة المسلمون على مدى عدة أعداد، ثم تم طبعه فى كتاب بعنوان [لماذا أعدمونى - جريدة المسلمون ٢٢ فبراير ١٩٨٥] ويحكى سيد قطب قصة تشكيلة لتيار تكفيرى ثم تنظيم

بهذه الصفة داخل السجن. ويقول أنه خلال وجوده فى المستشفى بسجن طره نجح فى تجنيد العديد من سجناء الجماعة المرضى والمتمارضين فكان ينفرد بهم ويجندهم لأفكاره ثم يقول "وتكونت خلايا سميت الأسر، ومن سجن القناطر وحده ناقشت حوالى مائة أخ خمسة وعشرون منهم اندمجوا فى الدراسة وأصبحت لهم مفهومات واضحة فى العقيدة والمنهج، و٢٣ عارضوا مبدأ السماع من غير قادة الجماعة فى الواحات، و٥٠ درسوا ولم يصلوا إلى الوضوح الكافى [المرجع السابق] وأخذ سيد قطب فى كتابه أوراق ونشرات يجرى إرسالها من السجن الى السجون الأخرى والى ما تبقى من الإخوان خارج السجون، يقول أحمد عبد المجيد عبد السميع فى محضر التحقيق معه "الأستاذ سيد قطب كان بيتكلم فى النشرات اللى كان بيرسلها من السجن عن الإخوان والجماعة المسلمة والكلام عجبنا لأنه كان كلام جديد علينا" [ملف القضية ١٢ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا – محضر أقوال أحمد عبد المجيد – الجزء ٦ – صـ٥٢٩] وطبعاً كان كل ذلك يجرى غير بعيد عن آذان أجهزة الأمن المرهفة فى كل السجون ومع ذلك أفرج عنه بعفو صحى. ويقول قطب فى إقراره "إن الرئيس عبد السلام عارف الذى أعجب كثيراً بكتابى فى ظلال القرآن قد قام بهذه الوساطة ونجحت والحمد الله" ويضيف الأستاذ عمر التلمسانى "لقد عرض عليه سفير العراق أن يسافر إلى بغداد كخبير فى مناهج التعليم ونصحته بأن يوافق لكنه رفض وآثر البقاء فى مصر ليدافع عن رأيه" [عمر

التلمسانى - ذكريات لا مذكرات] المهم بقى سيد قطب وبدأ فى تجميع تنظيم جديد هو الامتداد الفكرى والحركى لجماعة الإخوان. وأنتهى الأمر بإعدامه. واختلفت التفسيرات لمسألة الإفراج عنه لكن تفسير زينب الغزالى يبقى مستحقاً للاهتمام فقد كتبت "إن القضية فبركها مكتب شمس بدران [مدير مكتب المشير] لتقديم كبش فداء جديد لعبد الناصر، وإن إخراج سيد قطب من السجن كان تخطيطاً من المخابرات ليسهل اغتياله" [زينب الغزالى - أيام من حياتى - صـ٣٥١].

وكانت الفكرة المحورية عند سيد قطب هى الوصول إلى الحكم بالقوة، والقوة التى أرادها قوة غاشمة كانت مؤهلة لقتل الآلاف ولتدمير مساحات كبيرة من الوطن، لكن ذلك كله لم يكن ليعنيه فى شئ.. فالناس جميعاً ما عدا من أنضم إلى جماعته كفار، وكلمة وطن لا تعنى شيئاً بالنسبة إليه إنه مجرد "حفنة من تراب". والمثير للدهشة أن سيد قطب قد بلغه خبر بأن مكتب المشير يعد للقبض عليه. ويروى على عشماوى فى اعترافه إن سيد قطب ابلغه بذلك قائلاً "من المحتمل أن تضرب الحكومة الإخوان ولازم نعمل عمل كبير ما يكونش زوبعة فى فنجان إذا حسينا إن الحكومة حاولت تقبض علينا" [محضر أقوال على عشماوى أمام النيابة العسكرية - صـ٢٢٣].. وقد قام سيد قطب ومجموعته بالإعداد لثلاث محاولات لاغتيال عبد الناصر لعل أخطرها كانت تكليف أحد أعضائها وهو إسماعيل الفيومى وكان فى شرطة رئاسة الجمهورية

ويتقن التصويب إلى درجة الإصابة وهو مغمض العينين باغتيال عبد الناصر، وقد توفى خلال التحقيق معه، والثانية هى تفجير القطار الذى يقل الرئيس من القاهرة للإسكندرية بشحنه يجرى تفجيرها عن بعد، والثالثة أثناء مرور موكبة من المعمورة إلى رأس التين" [اللواء فؤاد علام - الإخوان وأنا - (١٩٩٦) صـ١٢٧] أما الخطة الوحشية التى أعدها سيد قطب فى حالة تحرك الحكومة للقبض على تنظيمه فتقوم على "نسف القناطر الخيرية لأنه سيترتب على ذلك إغراق الدلتا بالكامل، وهذه الأرض على أيه حال أرض كفر ويتعين تطهيرها ولو حدث ذلك فإنه سيشغل الحكومة بهذه الكارثة ولا تستطيع أستكمال حملة الاعتقالات" [المرجع السابق] كما وضع خططاً لنسف مطار القاهرة ومحطة كهرباء جنوب القاهرة وغيرها. ويقبض على الجميع بعد اعترافات متتالية من الجميع على الجميع بما فيهم سيد قطب نفسه. وكانت الأحكام شديدة القسوة الإعدام - الإشغال الشاقة المؤبدة وبالطبع كان الإعدام من نصيب سيد قطب.

وفى فترة سابقة كتب سيد قطب فى موسوعته "فى ظلال القرآن" عن حلمه الكبير "وبات هذا الركب الكريم مأنوسا مألوفا، ولا موحوشاً ولا مخوفاً أنهم زمرة من موكب موصول فى طريق معروف، وليسوا مجموعة شاردة فى تيه مقطوع، وأنهم ليمضون من نقطة البدء إلى نقطة الختام وفق سُنة جارية، لا يمضون هكذا جزافاً يتبعون الصدفة العابرة" [سيد قطب فى ظلال القرآن - الجزء العاشر - صـ١٨٣] ترى هل تذكر سيد قطب هذا الحلم وهو مساق

إلى حبل المشنقة بعد رحلة شديدة القسوة وشديدة الوحشية هى الأخرى فى السجن الحربى؟ وترى هل كان يتصور أن زملاءه سيعترفون عليه جميعاً وأنه سيعترف عليهم جميعاً.. رغم أنه كتب حالما فى يوم سابق كلمات حماسية ما أسهل أن تقال"لقد كان القرآن يغشى قلوباً يعدها لحمل الأمانة وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والتجرد بحيث لا تتطلع، وهى تبذل كل شئ وتحتمل كل شئ، نحو أى شئ فى هذه الأرض، ولا تنظر إلا إلى الآخرة ولا ترجو إلا رضوان الله، قلوباً مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها فى نصب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية حتى الموت" [سيد قطب - معالم فى الطريق - صـ١٨٣]. كانت كلمات إنشائية حماسية فسيد قطب كان يعرف أن الإخوان جميعاً يعترفون على بعضهم البعض فى التحقيقات، وأنه شخصياً حكم عليه فى ١٩٥٤ بعد اعترافات يوسف طلعت [الرئيس الجديد للجهاز السرى] والشيخ فرغلى عليه بأنه هو محرر النشرة السرية "الإخوان فى المعركة" [محكمة الشعب - الجزء الأول].. وحكم عليه بالسجن ١٥ عاماً.. وأفرج عنه بعفو صحى فى مايو ١٩٦٤ ثم قبض عليه فى ٩ أغسطس ١٩٦٥ وحوكم أمام الفريق الدجوى. وحكم عليه بالإعدام فى ٢١ أغسطس ونفذ الحكم فى ٢٩ من ذات الشهر.

.. هذه النهاية المأسوية تبقى منها فكر شديد التطرف أدى إلى إرهاب شديد التطرف طاف العالم كله ولم يزل.. ولم يبق من سيد قطب فى نظر المتأسلمين من أتباعه سوى الأجزاء الثلاثة عشر الأولى

من موسوعة فى ظلال القرآن والتى راجعها فى السجن وأضاف إليها شحنات من التأسلم الشديد الوطأة، وأيضاً الكتاب الأكثر تأثيراً فى كل متأسلمى العالم "معالم فى الطريق". وهو ما يتعين أن نطالعه ولو فى عجالة.

ونأتى الآن إلى بعض من عبارات كانت ولم تزل أشد فعاليه فى ميدان الإرهاب المتأسلم من الرصاص والقنابل. ألم نؤكد ونكرر "أن الإرهاب يبدأ فكراً". فلنر ماذا ردده سيد قطب من فكر أباح له إجازة القتل "حتى بالنسبة للمسلمين الأبرياء" [لأنهم فى نظره ليسوا بمسلمين حقاً] وأباح له التفجيرات التى هزت العالم. أن كلمات سيد قطب كانت ولم تزل وستظل مظلة للإرهاب المتأسلم الذى يوشك أن يطالنا مرة أخرى فى زمن ليس بالبعيد. ولعل أكثر من ظلم سيد قطب هم من يوالونه ويتمسكون بالولاء له.. فقد جعلوا من كتاباته شماعة يعلقون عليها جهلهم بحقيقة الإسلام ويبررون بها تأسلمهم ورصاصهم الذى يرتد فى حقيقة الأمر إلى صدر الإسلام الصحيح المسلمين والمتمسكين بالإسلام حقاً وصدقاً. فحتى عندما يتحدث سيد قطب عن السلامالعالمى يعود ليؤكد "ضرورة الجهاد لحماية المؤمنين ونشر الدعوة والقضاء على أى ظلم فى الأرض حتى تسود الحاكمية لله وتتحقق ربوبية الله على الأرض" [سيد قطب - السلام العالمى والإسلام - (١٩٩٢) - صـ١٧٠] أما الحضارة الغربية "فقد استنفذت أغراضها ولم يعد لها ما تعطيه للبشرية من قيم تصلح لبقائها ورقيها، لقد أصيبت بالعقم، وهى

نبت شيطانى وتحمل فى طايتها عوامل انهيارها" [سيد قطب - المستقبل لهذا الدين - صـ٤٨] وفى كتاب آخر يقول "ليس الذى ينقص البشرية لقيام مجتمع اسلامى هو وجود فقه اسلامى متطور إنما الذى ينقصها ابتداء هو اتخاذ الإسلام نهجاً وشريعته شريعة" [الإسلام ومشكلات الحضارة - صـ١٨٤] ويمضى سيد قطب قائلاً "وألف كتاب عن الإسلام، وألف خطبة فى مسجد، وألف بعثة من الأزهر، كل أولئك لا يغنى غناء مجتمع صغير يقوم فى ركن من أركان الأرض يعيش بمنهج الإسلام ويعيش لمنهج الإسلام وتتمثل فيه خصائص هذا المنهج" [المرجع السابق - صـ١٨٠].. إنها ذات فكرة إمارة بن لادن فى "تورا بورا" وذات ما حاوله شكرى مصطفى، وما هو موجود الآن فى سيناء ويواصل قطب "وكل فقه تراد تنميته وتطويره لا يعترف ابتداء بحاكمية الإسلام هو عملية استنبات للبذور فى الهواء، وهو عبث لا يليق بجدية الإسلام [صـ٨٨] ثم نأتى الى الكتاب الأساس "فى ظلال القرآن" والذى راجع قطب وهو فى السجن ثلاث عشرة جزءاً منه، عدل وأضاف وأستبدل كلمات بأخرى كالرصاص تجسد فكر التأسلم الذى يأمر حتماً بالإرهاب ونقرأ "الجاهلية ليست أسماً لمرحلة تاريخية سابقة على الإسلام، بل إنها تنطبق حرفياً على كل وضع بصرف النظر عن إعتبارات الزمان والمكان، إذا كان الوضع مشابها لتلك المرحلة التاريخية السابقة على الإسلام" [سيد قطب - فى ظلال القرآن - الجزء الأول - صـ١٠] ثم إلى عبارة أخرى نقلها هو حرفياً إلى كتابه "معالم فى

الطريق" "يدخل فى المجتمع الجاهلى كل مجتمع ملحد كالدولة الشيوعية، وكل مجتمع وثنى كالهند وأواسط أفريقيا واليابان، وكل مجتمع كان ولا يزال يعد من أهل الكتاب كالمجتمعات الرأسمالية، أيضاً تلك المجتمعات التى خلفت المجتمعات الإسلامية وورثت أرضها وديارها وأسماءها، أى تدخل فى إطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعات التى تزعم أنها مسلمة، لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده فى نظام حياتها فهى وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله، تعطى خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكميه غير الله، وتتلقى من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها وقيمها وموازينها وعاداتها وتقاليدها"[الظلال ـ الجزء الثامن – صـ١٠٢٣] ويقول "إن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده، ولو لم يصحبه شرك فى الاعتقاد بألوهيتة، ولو قدمت الشعائر التعبدية له وحده" ثم "إن المشقة الكبرى إلى تواجه حركات الإسلام الحقيقية تتمثل فى وجود أقوام من الناس من سلالات المسلمين، فى أوطان كانت فى يوم من الأيام داراً للإسلام يسيطر عليها دين الله وتحكم بشريعته، ثم إذا هذه الأرض، وإذا هذه الأقوام تهجر الإسلام حقيقة وتعلنه أسماً، إذا هى تتنكر لمقومات الإسلام اعتقاداً وواقعاً وإن ظنت أنها تدين بالإسلام اعتقاداً" و "فى الأرض اليوم أقوام من الناس أسماؤهم أسماء المسلمين وهم من سلالات المسلمين، ولكن لا الأقوام تشهد أن لا إله إى الله بهذا المدلول، ولا الأوطان اليوم تدين لله بهذا المدلول، وأيما رجل لم يشهد أن لا إله إلا الله بهذا المدلول،

فإنه لم يشهد ولم يدخل الإسلام بعد، أيما كان أسمه أو لقبه أونسبه، وإيما أرض لم تتحقق فيها شهادة لا إله إلا الله بهذا المدلول فهى أرض لم تدن بدين الإسلام ولم تدخل فى الإسلام بعد" [الظلال - الجزء السابع - صـ٩٣٩] ، ونقرأ "إنها معركة وجود أو هى معركة بين وجودين [أسماها بن لادن بعد ذلك فسطاطين] لا يمكن أن يكون بينهما تعايش أو سلام" وهنا يكمن التحريض على العنف ضد كل من ليس من جماعته.. فهو يؤكد "لا يمكن أن يكون بينهما تعايش أو سلام" ويوضح قطب الواجبات المفروضه على جماعته "فهى تواجه هذا الواقع بما يكافئه. وتواجهه بالقدوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة هذه الأنظمة والسلطات القائمة عليها" [سيد قطب - معالم فى الطريق - صـ٥٧] وفى كتاب المعالم تكون الكلمات أكثر حدة وأكثر صراحة "إن الأمة الإسلامية قد إنقطع وجودها منذ إنقطاع الحكم بالشريعة من فوق ظهر الأرض جميعاً" [المعالم - صـ٦] ذلك أن "الأمة الإسلامية ليست أرضاً كان يعيش فيها الإسلام، وليست قوماً كان أجدادهم فى عصور سابقة يعيشون بالنظام الاسلامى، إنما الأمة الإسلامية جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم كلها من المنهج الاسلامى، وهذه الأمة بهذه المواصفات قد أنقطع وجودها منذ إنقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض [صـ٥] ثم يؤكد "فهذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله على الأرض، وعلى أخص خصائص

الألوهية وهى الحاكمية، إنها تسند الحاكمية إلى البشر فتجعل بعضهم لبعض أرباباً ليس فى صورة الجاهلية الأولى الساذجة وإنما فى صورة وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين بمعزل عن نهج الله للحياة" و "القانون الوضعى لا يستحق السيادة والسموبه فهذه المنزلة حققها الله بقانونه الذى يجب على الناس إتباعه" ثم ينادى رجاله "ليست مهمتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلى ولا أن ندين له بالولاء، بل علينا أن نستعلى عليه، وألا نعدل من قيمنا وتصوراتنا قليلاً أو كثيراً. نحن وإياه على مفترق طريق، وحين نسايره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق" [صـ١٤٦].

ويواصل قطب تصلبه "الإسلام لا يقبل أنصاف الحلول مع الجاهلية.. فإما إسلام وإما جاهلية ووظيفتنا هى إقصاء الجاهلية.." ثم هو يتحدى "إننا لن نتدسس لهم بالإسلام، بل سنكون صرحاء معهم، هذه الجاهلية التى أنتم فيها بخس، والله يريد أن يطهركم، وهذه الأوضاع التى أنتم فيها خبث، هذه الحياة التى أنتم فيها دون، والله يريد أن يرفعكم" [صـ١٥٠] ثم يوجه حديثه إلى كل مسلمى العالم "هذا ليس إسلاماً، ولستم مسلمين والدعوة اليوم إنما ترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام. ولتجعل منهم مسلمين من جديد" [صـ١٣٤] ثم "إن هناك داراً واحدة هى دار الإسلام التى تقوم فيها الدولة المسلمة فتهيمن عليها شريعة الله وتقام فيها حدوده.. وما عداها دار حرب، علاقة المسلم بها إما القتال أو المهادنة على عهد

أمان" ثم يؤكد " والذى يدرك طبيعة هذه الدين يدرك حتمية الانطلاق الحركى الاسلامى فى صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان" [صـ١٦٢] ثم يقول "المسلمون أجراء عند الله، وحينما وكيفما أرادهم أن يعملوا عملوا فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير" [صـ١٧٢].

وهكذا لم يترك سيد قطب أمام رجاله منفذا. فهم مجبرون مأمورون بالقتال ضد المجتمعات الجاهلية التى هى كل الأرض وكل الناس ما عدا هذه الحفنة التى وقفت معه وأطاعت تعاليمه".

ولا يبقى من حديث عن سيد قطب إلا متابعه التعليقات على كتاباته ومحاوله نقدها أو تفسيرها.

وما أن ترامت إلى الأسماع دعاوى سيد قطب لتكفير الحاكم والمحكوم حتى إستهوت العديد من شباب الإخوان الذين عانوا من السجن والتعذيب أو سمعوا به، وبدأت تبريرات لهذا الاتجاه المتشدد. ويقول الأستاذ مصطفى مشهور "بدأت ألفاظ الجاهلية والحاكمية تظهر فى كتابات سيد قطب عندما كان يعد تفسيره "فى ظلال القرآن" للطبعة الثانية أثناء وجوده بالسجن حيث تأثر بكتابات أبو الأعلى المودودى وتفاعل مع المحنة فأضاف هذه الألفاظ إلى الظلال" [كاريمان المغربى - الإخوان المسلمون من حسن البنا إلى سيد قطب - (١٩٩٧) - محضر نقاش مع الأستاذ مصطفى مشهور] ويقول عادل حمودة "من المؤكد أن مذبحة سجن طره [٢٣ قتيلاً ٤٦ جريحاً] كما يقول شهود العيان - حسمت الأمر عند سيد

قطب فقد أصبح مقتنعاً بأن النظام الحاكم لا يمت بصلة للإسلام، ولأنه نظام غير اسلامى فلابد أنه نظام جاهلى لابد من مقاومته ومحاربته وفرض الإسلام الصحيح عليه، لقد أصبح بسبب محنته ومحنة الإخوان يؤمن بضرورة الجهاد بالسيف للتخلص من هذا المجتمع الكافر الذى يعيش فى الجاهلية وينطق الشهادتين ولا يعمل بها" [عادل حمودة - سيد قطب من القرية إلى المشنقة - المرجع السابق - صـ١٤٢] ويمضى عادل حمودة "لقد بدأ مسلسل التكفير بتكفير الجلاد لأنه لا يمكن أن يكون مسلماً من يعذب المسلمين، ثم أمتد التكفير إلى مأمور الليمان لأنه الذى أعطى أمر التنفيذ للجلادين. ثم إلى مدير مصلحة السجون، فمدير المباحث العامة فوزير الداخلية ثم عبد الناصر ثم شملت المجتمع كله فهو يؤيد عبد الناصر أو هو لا يتخلص منه مشاركاً بالصمت، والساكت عن الحق شيطان أخرس" وهكذا بدأت لعبة التكفير الحاكم والمحكوم. ومع هذه التبريرات كانت انتقادات عنيفة. فتنشر مجلة الثقافة دراسة نقدية لعز الدين إسماعيل يحذر فيها القارئ "من الخدعة الكبرى والهالة الباطلة التى نسجها الخيال حول شخصية قطب فى حين أن مولفاته تتسم بالضحالة وصياغة أفكار الآخرين، أن سيد قطب لا يقرأ الأصول التى تفيده وإنما يقف عند المراجع الثانوية، ولا يجهد نفسه فى مصادر الدرجة الأولى وإنما يكتفى بما يلتقطه من كتب الدرجة الثانية" [الثقافة - ٨ ديسمبر ١٩٥٢ - مقال عز الدين إسماعيل] وعندما طالب سيد قطب ضباط يوليو بإقامة حكم

استبدادى نظيف، رد عليه إحسان عبد القدوس "أنا لا أومن بالأكذوبة التى تقول بالمستبد العادل، فالمستبد لا يكون عادلا مادام مستبداً والعادل لا يمكن أن يكون مستبداً مادام عادلاً" [روزا ليوسف - ٩ فبراير - مقال لاحسان عبد القدوس] وعن الكتاب الأكثر تطرفاً معالم فى الطريق كتب الأستاذ حلمى النمنم "إن معالم فى الطريق هو أضعف كتب سيد قطب فكرياً وأسوأها فى الكتابة لأنه يضم فكرة واحدة قديمه لديه، أخذ يلح عليها، يكررها ويعيد تكرارها بلا ملل، أنه منولوج طويل يمتد حوالى ٢٠٠ صفحة يقطر حزناً ومرارة وشعوراً بالثأر والانتقام" [حلمى النمنم - سيد قطب وثورة يوليو - صـ١٤٥] ويقول الأستاذ صالح أبو رقيق الذى أصبح فيما بعد مرشداً للجماعة "إن سيد قطب قد كفر المجتمع فعلاً ولكن فكرة قاصر عليه وعلى مجموعته" [كاريمان المغربى - المرجع السابق - حوار مع الأستاذ صالح أبو رقيق - صـ٣٥٤].

أما الدكتور يوسف القرضاوى فقد عارض الكتاب قائلاً "حين نشأت الدعوة الإسلامية الأولى كان المجتمع جاهلياً حرفاً أى مجتمعاً وثنياً كافراً لا يؤمن بلا إله إلا الله وبأن محمداً رسول الله، ويقول أن القرآن سحر وافتراء وأساطير الأولين، أما مجتمعنا الحالى فهو مجتمع خليط من الإسلام والجاهلية فيه عناصر إسلامية أصيلة وعناصر دخيلة، وفيه مرتدون صراحة، وفيه منافقون، وفيه عدا هؤلاء وأولئك جماهير غفيرة تكون أكثرية الأمة ملتزمة بالإسلام وكل أفرادها متدينون تديناً فردياً، يؤدون الشعائر المفروضة وقد

يقصرون فى بعضها لكنهم فى الجملة يخافون الله تعالى ويحبون التوبة ويتأثرون بالموعظة ويحترمون القرآن.. مما يدل على صحة أصول العقيدة عندهم ولهذا يكون من الإسراف المجازفة بالحكم عليهم جميعاً بأنهم جاهليون كأهل مكة الذين واجههم الرسول فى فجر الدعوة" [الشعب - ١١، ١٨، ٢٥نوفمبر ١٩٨٦ - مقالات للدكتور يوسف القرضاوى].

وطالب شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون من الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى أن يكتب رأيه فى موضوع "معالم فى الطريق" فكتب الشيخ السبكى تقريراً جاء فيه "موضوع الكتاب دعوة إلى الإسلام لكن أسلوبه استفزازى يهيج المشاعر الدينية عند الشباب والبسطاء، والمؤلف ينكر وجود أمه إسلامية منذ قرون طويلة ومعنى هذا أن عهود الإسلام الزاهرة وأئمة الإسلام وإعلام العلم فى الدين كانوا جميعاً فى جاهلية وليس من الإسلام فى شئ حتى يجئ سيد قطب" ثم "يخيل إلينا أن المؤلف شطح شطحة جديدة فزعم لنفسه الهيمنة العليا الإلهية فى تنظيم الحياة الدنيا، حيث يقترح أولاً هدم النظم القائمة دون استثناء... والكتاب يضم مزيجاً من آيات قرآنية وذكريات تاريخية صيغت بأساليب كأساليب الثائرين للفساد فى كل موقع، يخلطون بين حق وباطل ليموهوا على الناس، وهذه الحيلة هى نفسها حيلة إبليس فيما صنعه مع آدم وحواء وفيما دأب عليه دائماً فى فتنة الناس عن دينهم وعن الخير فى دينهم. والله أعلم" [تقرير فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى - رئيس

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف حول كتاب معالم فى الطريق لسيد قطب - نسخة أصلية] وبعد هذه الآراء ماذا كان عن موقف الإخوان من الكتاب وكاتبه ؟ يروى الأستاذ عمر التلمسانى "رسخت فكرة التكفير فى ذهن بعض الشباب وآمنوا بها عن اقتناع غريب ، وأتسع نطاق هذه الفكرة فى معتقل مزرعة طره حتى بلغت فضيلة الأستاذ الهضيبى رضوان الله عليه إذ كان معتقلاً هناك فإستدعى رؤسائهم وناقشهم . . وكانت الجلسة تنتهى بما يشعره باقتناعهم بكلامه ، لكنهم ما أن يخرجوا من عنده يعودون الى تكرار دعوة سيد قطب حتى يئس من إقناعهم . . فكتب كتاب "دعاه لا قضاة" مستعيناً بابنه المستشار مأمون الهضيبى والأستاذ مصطفى مشهور" [عمر التلمسانى - ذكريات لا مذكرات (١٩٨٥) - صـ٤٦] ولكن هناك رواية أخرى حول كتاب "دعاه لا قضاه" تستحق المطالعة . فاللواء فؤاد علام وهو أحد قادة جهاز الأمن المسئولين عن جماعة الإخوان وأنشطتها يقول وبإصرار "دعاه لا قضاة أخطر كتاب لحسن الهضيبى صاغته مباحث أمن الدولة وأبنه مأمون الهضيبى كان الكوبرى الذى عبرت عليه فصول الكتاب من المباحث للشيخ" "فالكتاب ثم إعداده بواسطة بعض شيوخ الأزهر وشاركهم فى ذلك بعض المعتقلين الإخوان الذين كانوا يتعاونون معنا مثل عبد المتعال الجابرى وسعد الدين متولى إبراهيم وكانوا يجتمعون بمأمون الهضيبى ويناقشونه ثم يسلمونه الأبحاث وينسبها مأمون لنفسه ويسلمها لوالده" [لواء فؤاد علام - الإخوان وأنا - صـ١٦٩] .

وصدر كتاب "دعاه لا قضاة" ويظل الإخوان يستمتعون باستخدامه على الوجهين فعندما يحاصرون بتهمة التكفير يبرزونه وعندما يحتاجون الى فكر سيد قطب يتناسونه. لكن زينب الغزالى وكانت تلعب دوراً بارزاً جداً فى الجماعة خلال محنة الاعتقالات الناصرية أكدت "إن فضيلة المرشد قد قرأ كتاب معالم فى الطريق قبل طبعه، وأعاد قراءته ووافق عليه وقال "إن هذا الكتاب قد حصر أمله كله فى سيد قطب وأنه الأمل المرتجى للدعوة الآن" [زينب الغزالى - أيام من حياتى - صـ٣٦] فهل كانت لعبة الخداع متبادلة. فأكثر الإخوان فى السجون طالت عليهم فترة الأعتقال ولا ضوء من أمل وقبول التكفير يعنى عدم الإفراج.. فلماذا لا يكون المرشد قد كشف لعبة فؤاد علام واستخدمها ضده؟ هذه ليست معلومة لكنها مجرد استنتاج والتاريخ لا يعرف الاستنتاج. لكننا نعود إلى بعض مما كتب سيد قطب لنكمل فهمه وفهم أفكاره "إن الإخوان المسلمين قد قاموا لإعادة إنشاء الإسلام فى الأرض وإعادة إلوهية الله فى الأرض وللإخوان كينونتهم المنفصلة عن أيه تشكيلات وطنية أو قومية أو عالمية، والحقيقة مترجمة حركياً وشرعياً فى البيعه للمرشد وتعنى البيعة نشأة أمه منفصلة وإمارة لها وحدها حق السمع والطاعة" وهذه العبارة واضحة وصريحة والتى تتحدث عن جماعة الإخوان وردت ضمن نشرة أصدرها سيد قطب خلال هروبه عام ١٩٥٤.. وأصدرها باسم الجماعة " [نشرة صدرت سراً مصورة على ميكروفيلم محفوظ فى مكتبة المركز القومى للدراسات القضائية -

المتحف القضائى كادر ١٥٥ - ١٥٥٥" وقد لجأت إلى مكتبة الميكروفيلم استكمالاً لصفحات ناقصة من ملف القضية الذى حصلت عليه بجهد جهيد]. وعلى أية حال إنقسم الإخوان فى كل السجون بين معارضين للتكفير وقائلين به، ونشبت بين المجموعتين حوارات امتدت فيها الأيدى فى شجارات عنيفة لابد أن المعلنين لرفض التكفير كانوا يسهمون فى إشعالها ليصل صداها الأمن تمييزاً لموقفهم، لكن المثير للدهشة أن الأكثر صياحاً بالتكفير شكرى مصطفى أفرج عنه مع الآخرين وربما قبل كثيرين منهم، فهل كان الأمن يدرك مغزى التمثيلية ؟

الآتون من عباءة الاخوان
صالح سرية - شكرى مصطفى

ويرحل سيد قطب ظالماً ومظلوماً، لكن المفارقة أن هذا الرحيل المأساوى قد بدأ حياة جديدة لسيد قطب فقد أصبح سيد سيداً لهؤلاء المتأسلمين الذين فقدوا الطريق وهاموا فى متاهات الفكر حتى أتاهم الأب الروحى والملهم الذى يلقون على أكتافه أثقالهم ويجعلون من كتاباته الأشد تطرفاً وخاصة "معالم فى الطريق" إنجيلا جديداً لكل من تصور أنه منوط به فرض رؤيته للإسلام المتشدد بقوة السلاح.

وتبدأ موجه ملتهبة من التأسلم تنتشر وتتمدد فى كل بلد فيه مسلمون.. لتلتقى بروافد كانت موجودة. وتذوبشوقاً إلى قائد ملهم ومفكر يقتادها إلى مزيد من التأسلم.. ومن بين هذه الروافد كان حزب التحرير الاسلامى الذى تأسس عام ١٩٥٠. وقد

تأسس هذا الحزب عبر انعكاسين للإحداث أولهما قيام إسرائيل على الأرض الفلسطينية بما يتطلب جهاداً، والثانى الضربات التى تلقتها جماعة الإخوان عقب اغتيال النقراشى باشا وانتهت بقتل حسن البنا وتمزيق شمل الجماعة.. وأقام الشيخ تقى الدين النبهانى حزبه على أساس نشر العقائد وتقويتها فى صفوف الإتباع والتأكيد على فكرة "الخلافة" فبدونها لا نهوض للإسلام ولا تحرير لفلسطين وأظهر النبهانى رفضه للاغتيالات التى أدت إلى تدمير جماعته الأم، فكثير من المراجع والشهادات تقول أنه كان عضواً فى جماعة الإخوان بالضفة الغربية وأنه لعب دوراً مهماً فى تثقيف الإخوان هناك وتصاعد الخلاف حول نقد اللجوء الى الاغتيالات بما استدعى إرسال الإخوان لسيد قطب لمقابلة النبهانى واستعادته إلى حظيرة الجماعة خاصة بعد ان خرج بالخلاف الى العلن فى كتاب بعنوان "التكتل الحزبى" [تقى الدين النبهانى - التكتل الحزبى - عمان - صـ١٨] ونجح قطب فى الوصول لحل وسط وهو ان يبقى النبهانى بحزبه المستقل دائما فى إطار الدعوة الاخوانية الشاملة. وتبدت نقاط الخلاف بين البنهانى والجماعة فى نقاط عديدة منها "ضرورة تثقيف ملايين الشعوب بالعقيدة الاسلامية وليس فقط تثقيف الأعضاء"[البنهانى - مفاهيم سياسية لحزب التحرير الاسلامى - صـ ٨٧] أما خطته لقلب أنظمة الحكم "فلا بد أن يكون الهجوم موجها لأفكار بما يؤدى إلى تحقيق انقلاب فكرى يتبعه تلقائيا الانقلاب السياسى

الذى يؤدى إلى تغير الحكم والنظام وسائر العلاقات" [النبهانى – نداء حار لحزب التحرير الاسلامى – صـ ٩٦].

وتتلخص خطه النبهانى فى ثلاث مراحل "صراع فكرى ثم انقلاب فكرى، ثم تسلم زمام الحكم عن طريق الأمة" [المرجع السابق] ومع ذلك فأن النبهانى مثله مثل كل المتأسلمين ما أن يستشعر قدرا ولو ضئيلا من القوة لجماعته فى الأردن والضفة الغربية وخاصة بعد أن وصل أحد أعضاء حزبه إلى البرلمان الاردنى عام ١٩٦٧ حتى قام بمحاولة انقلابية عام ١٩٦٨ أفشلتها القوات الفلسطينية بالأردن بالتعاون مع السلطة الأردنية" [جريدة الحياة – لندن– مقال الغازى التوبة بعنوان حزب التحرير الاسلامى بدايات وتأثير محدود – ٢٠٠٤ / ٤ / ١٧] وعاد الحزب الى الكمون مرة أخرى مؤجلا اى تصادم، لكنه ركز فكريا على موضوع الخلافة مؤكدا "ان سقوط الخلافة هو الثغرة التى ضاعت منها فلسطين وقيام الخلافة هو طريق تحرير فلسطين" ثم ورغبه فى استرضاء النظام الملكى استكمل الفكرة قائلا "بأن الجهاد فى فلسطين ليس فريضة حتى تقوم الخلافة". وهو يؤكد"أن إقامة الخليفة فرض على المسلمين. وهو فرض محتم ككل الفروض والتقصير فى القيام به معصية من أكبر المعاصى يعذب الله عليها أشد العذاب" وأيضاً "أن أقامة الدين وتنفيذ أحكام الشريعة فى جميع شئون الحياة فرض على المسلمين بالدليل القطعى الثبوت، القطعى الدلالة ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بحاكم أى سلطان، فالقاعدة الشرعية هى أن ما لا يتم الواجب إلا به

فهو واجب" [حزب التحرير الاسلامى - موقع الحزب على الانترنت - كتاب الخلافة] وبرغم هذا التشدد فأن الحزب فى أدبياته يبيح ما لا يتفق مع المنطق المتشدد "فتقبيل الرجل للمرأة ليس بحرام لدخوله تحت عموم الأدلة المباحة للإنسان والصور العارية ليست من المحرمات، بل أن تقبيل الرجل للمرأة فى الشارع سواء كان بشهوة أو غير شهوة مباح" [حزب التحرير الاسلامى - الحملة الأمريكية للقضاء على الإسلام - موقع الحزب على الانترنت - ٢٥ مارس ١٩٩٦] وأيضا "المرأة إذا لبست الباروكة ولم تطع زوجها فى خلعها لا تكون ناشزة، وكذلك أذا لبست البنطلون وخرجت بدون أذنه لحضور مهرجان أو مؤتمر لا تكون ناشزة" [حزب التحرير الاسلامى - نشرة سؤال وجواب - ٢٤ ربيع الأول ١٣٩٠هـ الموافق٥ / ٢١ ١٩٧٠] ولعل هذه الفتاوى قد أسهمت فى انتشار نفوذ الحزب وسط الجاليات الإسلامية فى أوربا وأمريكا فأصبحت لها قاعدة كبيرة فى بريطانيا يرأسها عبد القادر زلوم وقاعدة أخرى قوية فى أمريكا منها قاعدة قوية فى شيكاغو حيث تم تجنيد الباكستانى نويدبت الذى عاد إلى لاهور ليؤسس فرعا قويا فى لاهور.

.. وإذا أتينا إلى مصر نجد أن أجهزة الأمن قد قبضت فى ابريل ٢٠٠٢ على خمسين عضوا يشكلون نواه للحزب فى مصر ومعهم أربعة بريطانيين وأعترف المتهم هشام عبد العاطى بأنه أنضم للحزب خلال وجوده فى لبنان وأعترف المتهم أشرف راضى بأنه أنضم

للحزب خلال وجوده فى ألمانيا "وأكد المتهمون أن الحزب لا يدعو إلى العنف وإنما إلى نشر العقيدة الإسلامية فقط. وأكد أنه لا علاقة لصالح سرية بأفكار الحزب" [الحياة - لندن- مقال لمحمد صلاح انشغال الظواهرى مع بن لادن وانكفاء الجماعة يضعان حزب التحرير فى دائرة الضوء - ٢١ مارس ٢٠٠٤].

وهكذا أتينا الى صالح سرية. الذى ولد فى حيفا وهاجر مع أسرته إلى الضفة الغربية ونشط فى صفوف جماعة الإخوان حيث التقى مع تقى الدين النبهانى، وعندما انتقل إلى الأردن انضم هناك إلى حزب التحرير الاسلامى. ثم أتى إلى القاهرة عام ١٩٧١ حصل على درجة الدكتوراه فى التربية من جامعة عين شمس. وخلال وجوده فى القاهرة تردد كثيرآ على منزل السيدة زينب الغزالى فى منشية البكرى والتى قدمت له دعما كبيرا، وعبرها التقى بالمرشد حسن الهضيبى وبعدد من القياديين الإخوان عقب الإفراج عنهم، لكنهم قابلوه بحرص من لا يريد استثارة غضب الحكم فى هذه الفترة ولهذا وصفهم فى تحقيقات النيابة بأنهم "ناس ميته، خرجوا من السجن وكل واحد عاوز يتجوز ويسافر للخارج" [د. رفعت سيد أحمد - النبى المسلح - الثائرون - صـ ٨١] ولهذا لم يعد متحمسا للبقاء فى القاهرة فسافر إلى العراق حيث إلتحق بجماعة الإخوان فى العراق وقام بتكوين تنظيم مسلح بين الفلسطينيين المقيمين فى العراق، وسرعان ما تعجل فى محاولة القيام بانقلاب يبدأ باغتيال احمد حسن البكر وصدام حسين فى عام ١٩٧٣. واكتشفت

السلطات العراقية المؤامرة فهرب إلى القاهرة حيث إلتحق بوظيفة فى جامعة الدول العربية ويقال أن ذلك تم بمساعدة من الأستاذ صالح أبو رقيق الذى كان يشغل منصبا مرموقا بها. وبرغم تقييمه السلبى للجماعة، فقد عاد صالح سرية مرة أخرى إلى أحضانها خاصة وان الجماعة كانت شديدة النشاط بعد الإفراج عن العديد من كوادرها وقيادتها وإفساح السادات أمامها للعمل فى الجامعات والمعسكرات الصيفية لطلبه الجامعات واستمر فى زيارة السيدة زينب الغزالى وفى بيتها التقى بطلال الانصارى وهو شاب متحمس وله ميول إسلامية متطرفة تحض على الجهاد من أجل قيام نظام اسلامى وضم طلال الانصارى الذى كان مقيما بالإسكندرية عددا من الشباب من زملائه فى الدراسة أو ممن تعرف عليهم فى المساجد.. وأصبح أميرا للمجموعة بالإسكندرية [المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - ندوة الحركات الاجتماعية المتطرفة - الحركات الدينية - الندوة الرابعة - ١٩٨٢ / ٥ / ١٢- ورقة لمنى العرينى وآخرون بعنوان: قراءة فى تحقيقات قضيتى الفنية العسكرية والتكفير والهجرة - صـ٢٣٠] وأقام صالح سرية تنظيماً على غرار تنظيم أستاذه تقى الدين النبهانى الذى يعتمد على أفراد كل منهم يكون مجموعة مستقلة تماماً عن الآخرين ولا يجتمعون معاً مما يجعلهم بعيدين عن أعين الأمن. وكان معظم الأعضاء من الطلاب وخاصة من الكلية الفنية العسكرية - وجامعات الإسكندرية والقاهرة والأزهر" وسريعاً جداً اتسع التنظيم [المرجع السابق - صـ٢٣١] وبلغ

عددهم ٩٠ عضواً وبهؤلاءقرر صالح سرية الاستيلاء على السلطة وإقامة دولته الإسلامية.

والآن الرجل لديه ٩٠ شاباً فماذا فعل بهم ؟ والحقيقة أننا عندما نفحص ما قدمه من فكر وما مارسه من فعل نكتشف أن تلك الهالة التى أحاطت بصالح سرية كانت فى غير موضعها. فصالح سرية تلميذ متوسط القامة أو حتى أقل من المتوسط بالنسبة لأستاذيه تقى الدين النبهانى وسيد قطب. وكما نفعل دوماً ولأن الإرهاب يبدأ فكراً، نبدأ بالفكر، وهنا نكتشف أن الرجل الذى قالوا عنه أنه عالم فى علم الحديث لم يكن فى هذا المستوى. وربما لأنه لم يستغرق وقتاً طويلاً فى بناء تنظيمه ولأنه كان حذراً خاصة وأنه فى وظيفة بالجامعة العربية لا تسمح له بالحديث المفتوح، ولأنه كان حريصاً على إخفاء هويته حفاظاً على تنظيمه فإننا لا نجد له إلا كتيباً واحداً هو "رسالة الإيمان". [راجع النص الكامل فى د.رفعت السعيد "الإرهاب المتأسلم" - الجزء الثالث المعنون "المتأسلمون الآتون من عباءة الإخوان" - (٢٠٠٥) - صفحات ١٢٥ حتى ١٥٣].

ونبدأ.. يقول صالح سرية "فى بداية الإسلام وخلال العهد المكى كان الناس فى نظر الإسلام ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما إما مسلمون وإما كافرون وقد يكون الكافر ملحداً أو مشركاً أو من أهل الكتاب.. وفى بداية العهد المدنى أضيف قسم ثالث هو المنافقون" ويفسر صالح سرية الكلمات: فالمسلمون من يؤمنون بالشهادتين ظاهراً وباطناً ويطبقون الأوامر والنواهى، والكافرون لا يؤمنون

بالشهادتين فى آن معاً ظاهراً وباطناً، والمنافقون وهم مسلمون ظاهراً وكافرون باطناً وهذا هو بيت القصيد عند صالح سرية. فهو يركز على أن غالبية من يسمون بأهل الإسلام هم من المنافقين. [صـ١٣٦] وهو يرى أن من يسمون أنفسهم رجال الدين منعوا الناس من الأخذ مباشرة من القرآن، ثم هو يقول "وعادة التقديس لم تكن موجودة فى صدر الإسلام لا للرسول أو القرآن، فلم يكن أحد يقوم للرسول ولا كانت عادة تقبيل يديه معروفة ولا مقبولة وكان القرآن يكتب على العظم والحجارة أو سعف النخيل وتوضع على الأرض. وربما كانت هذه الأقوال هى الجديد الوحيد عند صالح سرية. أما عن تفسير القرآن فيكون عبر تطبيقات العهد المكى وفهمها ويقول "ولعل خير التفاسير كتاب أبن كثير وكتاب "الظلال" لسيد قطب فى طباعته الأخيرة. ثم نلتقط من إحدى الصفحات عبارة كاشفة "لا يوجد فى الحياة أى عمل يضمن به صاحبه الجنة إلا عمل واحد وهو الشهادة فى سبيل الله، وبهذا تكون الشهادة فى سبيل الله أهم أمنية يسعى إليها المسلم، بل هى الأمل الوحيد فى الحياة لأنها الوسيلة الوحيدة المضمونة التى تخلصه من النار وتدخله أعلى درجات الجنة" [صـ١٤٢] بهذه الكلمات المبسطة أقتاد صالح سرية الشباب إلى فكرة الشهادة" وعبارة أخرى تقول "إن معظم المتدينين اليوم [لاحظ أنهم ليسوا فقط ناطقين بالشهادتين وإنما متدينون] كافرون عملياً، إذ لو كانوا يؤمنون حقاً لشمروا عن ساعد الجد لتغيير المنكر غير مبالين بالسجن وقطع الأرزاق لأنه لا يستطيع أحد

أن يضرهم بما لم يكتب عليهم بل ولم يبالوا بالإعدام لأنه "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً [آل عمران-١٤٥] "والذى يتردد فى ذلك كافر". ويقول "إن النطق بالشهادتين لا يعنى الإسلام وإلا فلو أن ملحداً قرأ كتاباً فيه لفظ الشهادتين وقرأها لأعتبر مؤمناً.. كذلك ليس المقصود بالمسلم هو مجرد الاعتقاد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد كان هرقل يقول بذلك وهو غير مسلم وكذلك يهود الحجاز فى زمن الرسول" [صـ١٤٥].

ويتحدث صالح سرية عن الحكم القائم قائلاً "إن الحكم القائم اليوم فى جميع بلاد الإسلام هو حكم كافر ولا شك فى ذلك، والمجتمعات كلها مجتمعات جاهلية" ثم يسأل: هل معنى ذلك أن كل فرد من هذه المجتمعات كافر؟ والإجابة قطعاً لا. إنما الكافر من آمن بالله وآمن أيضاً بأن هذه الحكومات على حق وأن الإسلام باطل، أو كان لا مبالياً سواء جاء الإسلام أو لم يأت، أو كان ناقماً على هذه الحكومات لكنه يرى الإصلاح بطريقة أخرى غير الإسلام. ويكون المؤمن من هؤلاء من آمن بأن الإسلام هو الحق وأن هذه الحكومات كافرة ويعمل على تغيير الحكومات لتصبح إسلامية سراً أو علناً، فمن رضى بهذه الحكومات وتبعها كافر ومن كره وعمل على التغيير فهو المؤمن" ثم إن "الجهاد لتغيير هذه الحكومات وإقامة الدولة الإسلامية فرض عين على كل مسلم لأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة" [صـ١٤٧] ثم يمضى فى مسلسل التكفير فكل من اشترك فى حزب عقائدى كافر لا شك فى كفره، فكل من أنضم إلى الأحزاب

الشيوعية أو البعث أو حركة القوميين العرب أو الاتحاد الاشتراكى العربى وأمثالها كافر..." ثم يقول "وكل من أعتقد فلسفة مخالفة للإسلام مثل الفلسفة المادية أو الوجودية أو البرجماتية وغيرها كافر. وكل من أعتقد مبدأ سياسياً مخالفاً للإسلام كالديمقراطية أو الرأسمالية أو الاشتراكية أو الوطنية أو القومية أو أى مثيل لها كافر" [صـ١٤٧] ونمضى لمزيد من التكفير "هناك إذن حزب الشيطان وحزب الله فكل من والى الحكومات الكافرة والأحزاب والجماعات الكافرة ضد الجماعات الإسلامية فهو كافر". والحكومة التى تحارب وتتعقب وتسجن وتعدم أعضاء الجماعات الإسلامية لاشك كافرة، وكل من ينفذ أوامرها سواء كان مخبراً أو شرطياً أو ضابطاً أو قاضياً أو صحفياً كافر، وكل من ينفذ أوامرها عن طواعية ورضاء ودون إنكار كافر. وأقول هنا إن هؤلاء الزعماء قد يكونون متدينين بالمعنى التقليدى يصومون ويصلون ويقرأون القرآن بخشوع لكنهم كفار لأنهم آمنوا بجزء من الإسلام وكفروا بباقى أجزائه" ثم "وكل القوانين المخالفة للإسلام قوانين كفر وكل من أعدها أو ساهم فى أعدادها أو جعلها تشريعات ملزمة وكل من طبقها دون اعتراض عليها أو إنكارها كافر.. وعلى هذا فإن كل المستشارين الذين وضعوا هذه التشريعات وكل أعضاء البرلمان الذين صدقوا عليها وكل مجلس الوزراء الذى قدمها والرئيس الذى وقعها والقضاء والنيابة ومحققوا الشرطة والمباحث الذين عملوا بموجبها إن كانوا غير معترضين عليها وأخلصوا فى عملهم بموجبها فهم كفار" ثم يقول صالح سرية وهذا

هل الأشد خطراً وتطرفاً "وكل فرد من أفراد الشعب رضى بها أو لم ينكرها أو وقف موقف اللامبالاة منها فهو كافر. لأن كل هؤلاء قد فضلوا شريعة البشر على شريعة الله وهذا كفر، لأنهم اتخذوا آلهة غير الله وحكموا بغير ما أنزل الله" [صـ١٤٩] ويتحدث صالح سرية عما أسماه طقوس الشرك الحديثة وهى طقوس تعيد إلى الأذهان طقوس عبادة الأصنام ومنها "تحية العلم.. يحيون قطعة قماش فتصبح كصنم تجرى له العبادة. وكذلك السلام الجمهورى وتحية قبر الجندى المجهول" ولعلنا نلمح كثيراً مما قال به صالح سرية فى هذا الصدد فى تصرفات بعض السلفيين فى أيامنا هذه. ثم يتحدث سرية عن الاشتراكية مؤكداً أنها كفر "فالمال مال الله والناس مستخلفون فيه بينما ترى الاشتراكية أن المال مال الدولة أو مال المجتمع" وهكذا نرى أن صالح سرية ألقى بدلوه فى بئر سيد قطب ولم ينل منه إلا زاداً قليلاً وحتى هذا القليل حاول شرحه فأتى الشرح بسيطاً خالياً من العمق.. ألم نقل أنه كان تلميذاً غير متفوق؟ وبهذا الأوراق المعدودة والخالية من العمق والتى تشبه خطبة منبرية أقتاد صالح سرية الشباب الذين أطاعوه.. إلى تهلكة. ولكن صالح سرية كان يقول إن "رسالة الإيمان" "هى على حسب علمى أول رسالة فى تشخيص الكفر الذى وقع فيه المسلمون، وهى أهم ألف مرة من دراسة قضايا العقيدة التى كتبت فى الماضى" وبهذا الاعتداد بما كتب والبؤس فى العمل التنظيمى والتخطيط الحركى. قاد صالح سرية شبابه ونفسه الى التهلكة.

وكان تنظيم صالح سرية (شباب محمد) والذى أسمى إعلامياً تنظيم الفنية العسكرية يضم تسعين عضواً قبض على ثمانين منهم، وفكرة التنظيم بسيطة كل عضو يشكل مجموعة ويضم إليها كل من يقوم بتجنيده. وبرغم القول بالسرية فإن صالح سرية كان فى عجله من أمره فبدأ يقابل جميع الأعضاء ليمنحهم المزيد من الحماس. وهكذا إعترف كل المقبوض عليهم بأنهم تقابلوا بشكل ما مع صالح سرية. كما كانت الدورات التثقيفية تضم أعضاء من مجموعات مختلفة على العكس من التصور الأول الذى نقله صالح سرية عن أستاذة تقى الدين النبهانى. وقال أحد المتهمين وهو أحمد صالح عامر فى تحقيقات النيابة إنه حضر اجتماعاً فى حديقة الأورمان تلقى فيه الأعضاء بعض التدريبات البدنية [المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - الندوة الرابعة - المرجع السابق - صـ٢٣٥] ولم يكن هناك نظام لجمع الاشتراكات فكل من يستطيع يدفع ما يشاء، ومما يثير الدهشة هو هذه المغامرة التى قادها مغامر متأسلم للاستيلاء على السلطة بتنظيم صغير جداً وهش وغير مدرب. وما يثير الدهشة أيضاً هو أن الأمن لم يحرك ساكناً إزاء هذا التنظيم أو لم يعلم حتى بوجوده بما دفع اللواء فؤاد علام إلى التأكيد بأن تعليمات عليا كانت تشل يد الأمن عن ملاحقة مثل هذه الجماعة

والخطة ساذجة إعترف المتهمون بها فى محاضر التحقيق ويتلخص الأمر كما يلى:-

- رئيس التنظيم إجتمع مع أعضائه لوضع خطة الاستيلاء على الحكم فى اجتماعات جرت أيام ١٢، ١٥، ١٦ ابريل ١٩٧٤.

- تجمع أعضاء التنظيم من القاهرة الكبرى والإسكندرية مساء الأربعاء فى ميدان العباسية فى مجموعات صغيرة متناثرة حيث جرى اختيار ١٨ عضواً لاقتحام الكلية الفنية العسكرية بمساعدة عدد من طلبتها أعضاء التنظيم.

- قام أعضاء التنظيم بمهاجمة حرس البوابة الخلفية للكلية بالأسلحة البيضاء واستولوا على بندقتى الحارسين ثم تمكنوا من دخول الكلية وانضموا الى زملائهم بعد تلقى إشارة ضوئية منهم. وقام جميع أعضاء التنظيم من طلبة الكلية والقادمين من الخارج باقتحام مخزن السلاح بالكلية غير أن حراس المخزن تصدوا لهم وجرى اشتباك قتل فيه "شخص وجرح ٢٣، الأمر الذى أدى إلى فشل العملية" [المرجع السابق - صـ٢٣٧]. أما استكمال الخطة فكان يعتمد على قيام أعضاء التنظيم من طلبة الكلية وبالاستيلاء على غرفة التليفون وإغلاق مخازن السلاح والذخيرة بأقفال أحضروها معهم ليسهل عليهم فتحها عندما يريدون. أما بقية المخطط فيقوم على القبض على ضباط الكلية ومديرها عند حضورهم فى الصباح واحتجازهم كرهائن والاستيلاء على الأسلحة ثم يتحرك أعضاء التنظيم بسيارات الكلية الى قاعة اللجنة المركزية بمبنى الاتحاد الاشتراكى بكورنيش النيل" [البيان الصحفى الذى أصدرته النيابة عقب الحادث] ثم يقومون بعد ذلك باقتحام قاعة اللجنة

المركزية ظهراً خلال اجتماع الرئيس السادات مع أعضاء اللجنة المركزية وأعضاء مجلس الشعب، وذلك بعد إيهام الحراس الموجودين بالقاعة بوجود متفجرات بالقاعة بما يثير الفوضى فى القاعة فيتمكنون من اعتقال الرئيس وأعضاء الحكومة وكل القيادات المهمة. وبعد ذلك يقوم رئيس التنظيم بإلقاء بيان عن طريق الإذاعة والتليفزيون يعلن فيه الاستيلاء على السلطة. وبرغم سذاجة الخطة ووضوح استحالة نجاحها إلا أن صالح سرية كان واثقاً من نجاحها لدرجة أنه أعد نص البيان الذى سيذيعه من التليفزيون.

وضبط البيان مكتوبا بخط يده ونلاحظ فيه خلوه من أية مسحة إسلامية بما يوحى أن ثقته بالنجاح جعلته راغباً فى إبداء مرونة تسمح للناس والقوات المسلحة والدول الأجنبية بقبوله. ونقرأ فى البيان "أيها الشعب الحبيب أيتها الأمة المجاهدة الصابرة، لقد نجحنا والحمد لله صباح اليوم فى السيطرة على الحكم واعتقال جميع المسئولين عن النظام السابق وبدأ عهد جديد ونحن لا نكيل الوعود لكم لكننا نعلن:

١- أن النظام الجديد سيقوم على أسس جديدة لا لبس فيها ولا تناقض.

٢- سوف لا تكون الثورة مقصورة على الجوانب السياسية والعسكرية فقط وإنما تشمل جميع نواحى الحياة الاقتصادية والثقافية والتعليمية والوظيفية والاجتماعية.

٣-سوف تهتم الدولة إهتماماً خاصاً بالإيمان والأخلاق

والفضيلة.. وأيضاً نطلق الحرية للمجتمع ليقول ما يريد ونقد أجهزة الدولة عدا الكذب والافتراء والبهتان. وسوف تحمى الدولة كل مبادئ العدل المشهورة فى تراثنا.."

ثم.. "والله الموفق - صالح سرية - رئيس جمهورية مصر العربية"

وهكذا الفكر الساذج والخطة الساذجة وبيان إعلان الانقلاب الأكثر سذاجة هم كل حصاد حركة صالح سرية. ويبقى أن نتأمل الأرقام التالية:

توزيع المتهمين حسب السن

فئات السن	العدد
من ١٨ الى ٢٥ سنة	٦٦
من ٢٦ الى ٣٠ سنة	٨
من ٣١ الى ٣٧ سنة	٦
المجموع	٨٠

ومنهم ٤٢ طالب جامعى و١٧ طالب فنية عسكرية و٦ طلاب ثانوى و٣ مجندين و٨ عمال و٤ مهندسين. وكالعادة فى التنظيمات المتأسلمة اعترف الجميع على الجميع وحكم على صالح سرية ونائبه بالاعدام ونفذ الحكم يوم ١١ أكتوبر ١٩٧٥.

لكننا نريد أن نتأمل مسلسل التأسلم ومجراه:

فالنبهانى وصالح سرية من الإخوان. حسن الهلاوى وطلال الآنصارى وعدد من الأعضاء من الإخوانثم إن بعض المفرج عنهم من

قضية الفنية العسكرية انضم إلى شكرى مصطفى الآتى هو أيضاً من الإخوان، أما البعض الآخر أبناء الإسكندرية فقد انضموا إلى مجموعة صغيرة شكلها مصطفى يسرى سنة ١٩٧٤ وأسمت نفسها جماعة الجهاد ومن صفوف هذه الجماعة أتى محمد عبد السلام فرج المهندس الأساسى لعملية اغتيال السادات. وهكذا ودوماً يطل علينا الشبح الاخوانى مع كل تحرك من هذا النوع. فقد كان هناك سجين إخوانى هو الشيخ طه السماوى الذى قالت المخابرات الحربية فى تقرير لها يحمل رقم ١٦٢ لسنة ١٩٨١ أن الملازم أول أحمد شوقى الاسلامبولى يعتنق فكره وأنه أصطحبه معه إلى نجع حمادى ليحضر فرح شقيقته [نبيل فارس - الإسلام لا يعرف العنف - الملف السرى للجماعات فى مصر صـ٢٣]. ولسنا نقصد إلصاق المسئولية المباشرة بجماعة الإخوان عن كل هذه الأحداث، لكن الجماعة تتحمل بالقطع مسئولية هذه الخيمة أو الغيمة المتأسلمة التى أحاطت بالمناخ الفكرى والسياسى والتى غرست شوكاً متأسلماً يتنامى كأى شوك ليطفئ وهج الأزهار.

ورغم المصير المؤسف لصالح سرية ورجاله كان طيف الإخوان لم يزل قادراً على التوالد.. فيكون تنظيم التكفير والهجرة وقائده شكرى مصطفى.

وهكذا نأتى إلى تلميذ آخر ممن تتلمذوا بغير تحفظ على أفكار سيد قطب التكفيرية. نأتى إلى شكرى مصطفى، وكان طالباً فى كلية زراعة أسيوط وقبض عليه عام ١٩٦٥ ضمن الحملات

التمشيطية لمن أحاطت بهم شكوك إخوانية فى إطار الحملة ضد تنظيم سيد قطب. وسيق الفتى صغير السن إلى أتون سجن طره، وعاش شكرى ست سنوات مع كوادر الجماعة المشحونين بكراهية شديدة لعبد الناصر، ولقسوة السجن والسجانين، وكان الإخوان فى طره وفى الواحات وغيرها من السجون منقسمون على أنفسهم سياسياً، قسم يرى أن فترة السجن طالت وما من بارقة أمل، ومن ثم لا بأس من تأييد عبد الناصر كمنفذ للخروج من سجن لا نهاية معلومة له، وقسم آخر طالته أفكار سيد قطب التكفيرية. يقول الأستاذ عمر التلمسانى "عندما كنا فى المعتقلات كان عذاب زبانية عبد الناصر على أشد صوره ووحشيته، وتصور بعض الذين وقع عليهم التعذيب أن هذا لا يمكن أن يصدر من مسلم فى قلبة ذرة من الإيمان، وفى غمار هذا الهول نبتت فكرة التكفير عند بعض الشباب ورسخت فى أذهانهم وآمنوا بها فى اقتناع غريب" [عمر التلمسانى - ذكريات لا مذكرات - المرجع السابق - صـ١١٣]. وكان شكرى من المجموعة الثانية، وكان متحمساً متوتراً ساخطاً يصيح فى وجه الإخوان المؤيدين "من العار على المسلمين أن يمسك بهم كالدجاج دون مقاومة، كنتم تكذبون على أنفسكم وعلى الناس عندما كنتم تقولون "الموت فى سبيل الله اسمى أمانينا" [أحمد رائف - سراديب الشيطان - صفحات من تاريخ الإخوان (١٩٨٩) - صـ٥٢] وظل شكرى مصطفى يغلى توتراً داعياً حتى للجهاد ضد الكفار من السجانين والضباط "فهم كفرة والواجب

قتالهم والأصل فى حياة المسلم هو طلب الشهادة فإن حصل عليها فى أى موقع فهو الفائز، ويجب على المسلمين أن يبحثوا عن الشهادة فى سبيل الله ولو بين طرقات العنابر وظلمة الزنازين، وكلما حاول أحد تهدئته صاح بأعلى صوت "لو حسن تصوركم لعلمتم أن الشهادة هى الباب الصعب إلى العالم الرحب" [أحمد رائف - البوابة السوداء - صـ٥٨٢].

وتمترس شكرى مصطفى فى الزنزانة رقم ٢ فى سجن مزرعة طره وأتخذها مقراً لمجموعة من الشباب الثائر على كل شىء، على قيادة الإخوان وعلى المؤيدين لعبد الناصر من الإخوان وعلى إدارة السجن من المأمور وحتى السجانة. وأعلن شكرى أن جماعته هى الفرقة الناجية وأن من ليس معه هو من الكفار وكان الغضب يفور به فى أرق مستديم يزيده رغبة فى الثأر" [المرجع السابق - صـ٥٠٩].

وبعد هزيمة يونيو زار حسن طلعت [مدير البوليس السياسى آنذاك] معتقل مزرعة طره، وبدأ فى ملاينة السجناء واعداً إياهم بالإفراج عنهم وفجأة وقف شكرى مصطفى ووجه إليه كلاماً قاسياً كطلقات من مدفع أوتوماتيكى قائلاً "أنت كافر، ورئيس جمهوريتك كافر، ولئن أحيانى الله وخرجت من المعتقل لأقاتلنكم قتالاً شديداً، ولئن مت فسوف يأتى بعدنا من يقضى عليكم ويزيل دولتكم، ولئن هربتم من عقابنا فى الدنيا فلن ينج أحد منكم يوم القيامة" وتراجع حسن طلعت قائلاً "لا شك أنكم فئة من المؤمنين المظلومين وأنتم تقرأون القرآن، وتعرفون أجر الصابر على البلاء،

وأنه يكفر الذنوب" [المرجع السابق - صـ٥٧٥] وخشى الإخوان الراغبين فى إنهاء المحنة والخروج من السجن من أن يؤدى موقف شكرى ومجموعته إلى إغلاق باب الأمل فى الإفراج، فراحوا يضغطون على هذه المجموعة للتراجع على الأقل عن الجهر بموقفها التكفيرى. وهدأ البعض إلا شكرى مصطفى وكان يستخف بخوف الإخوان من التصادم مع السجانة ويهتف بأعلى صوت

إن التى حرست بأبطال الوغى

باتت تصانع سفلة الحراس

أما واحد من أخلص رجاله وهو عبد الرحمن أبو الخير فيكتب عنه "كان الشيخ شكرى منبوذاً فى معتقل طره من أكثر الإخوان لا لدمامة خلقه فقد خلقه الله فأحسن خلقه. ولا لسوء خلق فهو لم يكن ليثور إلا إذا ثار للحق، وما عاب هذا الأسلوب حينئذ غير عصبية فى الطبع حالت بينه وبين الالتقاء مع الآخرين من رجال الحركة الإسلامية للالتقاء عند بعض نقاط" [عبد الرحمن أبو الخير - ذكرياتى مع جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) - الكويت (١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ) صـ١٨]. لكن صراعاته مع الإخوان الرافضين لأفكاره دفعت إدارة السجون الى ترحيله حيث يواصل دعوته إذ ينقل من سجن إلى سجن آخر، ويبدو أنها كانت حيلة ماكرة من شكرى لكى ينال فرصة مناقشة أكبر عدد من سجناء الإخوان. وفى السجن قرأ شكرى مصطفى كثيراً فى كتب الفقه واللغة والتفسير وأستمع طويلاً إلى المسجونين الذين كانوا من

جماعة سيد قطب وحكم عليهم بالسجن. وبدأ هو فى تسجيل أفكاره المتشددة والساخنة فى كراسات جرى تداولها فى السجون المختلفة وبعد وفاة عبد الناصر أفرج عنه. ونستمع الى اللواء فؤاد علام "يوم وفاة عبد الناصر لم يكن قد بقى من سجناء الإخوان سوى ١١٨ شخص ومنهم ثمانين مصنفين "خطر جداً"، وطلب السادات ملفاتهم وأمر بالإفراج عنهم جميعاً فى صفقة من طرف واحد، لكنها دراما التاريخ التى جعلت منه يسجل بيده قرار إعدامه" [فؤاد علام - المرجع السابق - صـ٢٣٦]. وفور الإفراج يتضح الفارق بين شكرى وجماعة الإخوان. فبعد الإفراج توجه عمر التلمسانى وعدد من كبار الإخوان إلى قصر عابدين ليسجلوا فى سجل التشريفات شكرهم للرئيس". [نبيل فارس - الإسلام لا يعرف العنف - صـ١٤] أما شكرى فقد أتجه إلى أسيوط لينفذ خطة الانتشار فى القلب والأطراف. فقد "رسم خطة لتنفيذ قيام الدولة الإسلامية بعد أن تخرج جيوشه من شعاب اليمن لتطهر العالم من الفساد والكفر، وانتشر تنظيمه فى أسيوط والمنيا وعدة محافظات أخرى وبدأوا التدريب على الأعمال العسكرية فى منطقة جبلية بالبر الغربى بالمنيا.. ويقول فؤاد علام "كنا نرصد الخيوط ولكننا كنا بلا غطاء سياسى وأبلغنا أحد الخفراء السريين أنهم حاولوا قتله أثناء مروره بالمصادفة فى هذه المنطقة ولكنه أفلت منهم. وتقرر القبض عليهم وكانت أول قضية لتنظيم التكفير والهجرة [فؤاد علام - صـ٢٣٧] وكانت الأدلة ضعيفة ولا تعدو ضبط عدد من الأسلحة بدون

ترخيص، وكانت الأحكام مخففة [راجع ملف القضية ٦١٨ لسنة ١٩٧٢ - أمن دولة عليا المتهم فيها شكرى مصطفى وآخرون]. وخرج شكرى مصطفى مستشعراً ضعف الموقف الأمنى. واستفاد شكرى من مناخ فرضه السادات مستهدفاً أن يجعلهمفعما بالتأسلم، ومن تمويل رسمى لا نشطته هو وغيره من الجماعات الجهادية "وبدأ التدريب فى معسكرات علنية قيل إنها للتدريب الروحى والبدنى وبدأت الجماعات فى فرض نمط جديد من التعاملات فى الجامعات حيث فرضت إيقاف المحاضرات فى أوقات الصلاة، ومنعت أيه محاولة لإقامة حفلات موسيقية أو أمسيات فنية، ووزعت مذكرات وكتباً دراسية رخيصة وقدمت مساعدات للمواصلات ووزعت ملابس ذات صبغة متشددة للمنقبات وعباءات بأسعار رخيصة وقدمت فوق ذلك دعماً مالياً للمتحاجين" [نبيل فارس - صـ١٨] واستفاد شكرى مصطفى من ذلك كله فنال عضوية كثيرة، ونفوذاً واسعاً، وأموالاً وفيرة..

وبدأ التنظيم فى نشاطه الجاد.. وفق أفكار شكرى مصطفى التى التمسها من منبع التأسلم المتشدد سيد قطب، لكنه أضاف إليها تشدداً ساذجاً نبع بالأساس من لجوئه إلى التفسير النصى المطلق للآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ونبدأ فى مطالعة لأفكاره.

ونمضى لنطالع المصدر الوحيد تقريباً لفكر شكرى مصطفى. وهو كتيب "التوسمات".. ونلاحظ قبل أن نبدأ.

– الكتيب مخطوط. فشكرى مصطفى كان يرفض استخدام المطبعة باعتبارها عتادا كافراً. وهو فى ٨٥ صفحة من كشكول مدرسى. والكتابة بالحبر الشينى الأسود، أما الآيات والأحاديث فمكتوبة بالحبر الأحمر. وقد أعيد طبع القسم الأكبر منه لأول مرة فى كتاب [د.رفعت السعيد – الإرهاب المتأسلم – الجزء الثالث – المتأسلمون الآتون من عباءة الإخوان – صفحات ٢١٣–٢٥٧].

– إن الكتابة فى اعتقادى هى تكرار لفكر سيد قطب ولكن بتشدد قد يصل إلى حد السذاجة [كمثال رفض شكرى المطبعة كعتاد كافر لكنه استخدم التليفون والسيارات والأسلحة النارية وهى عتاد كافر] وتعيش كل كلمة فيها عبر تفسير نصى غير متقن حتى لو خالف روح النص.

ونبدأ فى مطالعة فقرات من التوسمات "الخلاصة العملية لإقامة دولة الاسلام تبنى وتقوم على أمرين. ١– تدمير الكافرين ٢.– توريث المسلمين من بعدهم" ونقدم مثالاً "وعلى ضوء هذا يمكننا أن نفهم قوله تعالى: كما بدأنا أول الخلق نعيده، وعداً علينا إنا كنا فاعلين [الانبياء١٠٤] و"كما" تعنى المثلية، أى أن الله يبدأ الخلق ثم يعيده كما كان". ٢١٩ فى النص المطبوع بالمرجع السابق]. ونقرأ قال تعالى "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق [الأنبياء–١٨] إن الله لم يضع الحق على الباطل، بل يقذفه، أى بقوة وبشدة".

ويعود شكرى إلى كلمة "كما" ويقول "كما" تفيد المثلية فى كل شئ" ثم "لابد من سلوك طريق النبى (صلعم) وأصحابه شبراً بشبر

وذراعاً بذراع، لأن الله سبحانه وتعالى يبدأ الخلق ثم يعيده بصورة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول وهى كما بدأ الإسلام يعود الإسلام" ثم يمضى قائلاً "ولكن الرسول لم يقم للإسلام دولة إلا بعد الهجرة، فهل علينا نحن جماعة آخر الزمان أن نهاجر تأسياً بالرسول حتى نقيم دولة الإسلام ؟ والإجابة نعم". ثم يقول: لا إسلام ودوله تقام له إلا بعد الهجرة [٢٢١].." كما أنه لا يوجد رسول إلا وهاجر" [صـ٢٢٣]. ثم يقرأ لنا آيه أخرى "وما كان الله يعذبهم وأنتم فيهم" [الأنفال -٣٣] وهكذا فإن هلاك الكفار وتدمير دولتهم لا يأتى وهناك مؤمنون فى وسطهم، والسنة أن يخرج المسلمون من أرض الكفر ولا يبقى فيها إلا الكافرون" [صـ٢٢٤].

ثم نأتى إلى قمة التفسير النصى إذ يقول شكرى مصطفى "فى القرآن الكريم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم [الأنفال-٦٠] فهذا خطاب موحد للمؤمنين فى أول الزمان وفى آخر الزمان، والقوة كما جاء فى الحديث هى الرمى والخيل هى الخيل، فإذا جاء من يقول أن الخيل لا تصلح الآن، نقول له نحن الآن لا نقاتل، وعندما نقاتل فسيكون قتالنا بالسيف والرمى والخيل" ثم يعود لهذا الشرح فى موضوع آخر من "التوسمات" ويقول "الجماعات الكافرة التى سوف تحارب المسلمين كرست كل جهودها طوال عمرها، للدنيا ومتاعها، والحرص عليها، والعلو فيها، واستغلت عقولها فى البحث فى علوم الدنيا وخصوصاً العلوم الصناعية والحربية. أما الجماعة الإسلامية

الآن فهل تستطيع أن تواجه روسيا وأمريكا بمعداتها الحربية الضخمة والصواريخ ؟ هل يتصور أن الجماعة المسلمة فى آخر الزمان تستطيع أن تتفوق عليهم؟ ويمضى شكرى فى تفنيد المقترحات بالتسلح أو بالانقلاب العسكرى ويرفض ذلك باعتباره تفكير أطفال. ثم يعود الى التأكيد "وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم" [آل عمران-١٢٦]" النصر ليس من عندنا نحن علينا أن نعبد الله سبحانه ونخلص من ذلك ثم ينفذ قدر الله سبحانه وتعمل السماوات والأرض لنصر هذه الطائفة المؤمنة بكل الجنود الذين هم فى قبضة الله سبحانه من رياح وبخار وملائكة.. ويضيف "وما يعلم جنود ربك إلا هو" [المدثر-٣١].

ثم يمضى شكرى "الكافرون يقاتلون مثلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر. أما أسلوب القتال عند المسلمين فهو ينبثق من الأصول الإسلامية وهى مواجهة رجل لرجل لأنها نفوس باعت الدنيا واشترت الآخرة" ثم هو يستخلص من تفسيره النصى أن واجب المسلمين الحتمى هو أن يحاربوا صفاً كما يصلون. وأن يستخدموا السيف فالرسول قال "الجنة تحت ظلال السيوف ولم يقل تحت ظلال البنادق. الرسول قاتل بالسيف والجماعة المسلمة من بعده قاتلت بالسيف والجماعة المسلمة فى آخر الزمان ستقاتل بالسيف[صـ٢٥٣].

ثم يحاصر شكرى مصطفى المسلمين "لا إجماع، لا قياس، ولا مصالح مرسلة، ولا رأى صحابى ولا.. ولا.. قال الله وقال الرسول

فحسب" ثم "إن جماعة محمد تتعلم الدين للتطبيق والعبادة. العلم وسيلة لعبادة الله. "اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع أى علم لا أعبدك به، ولم يكونوا يتعلمون من أجل الدنيا أو لتعمير الأرض ورفع البناء.. وعلوم الدنيا يطغى بها البشر. وأى علم ليس للآخرة فهو عبث وشرك، ولقد مكث رسول الله فى مكة ثلاث عشرة سنة، ولم يعلم المسلمين إلا الكتاب والحكمة ولم يعلم نفسه. وكل علم يتعلمه الإنسان لنفسه فهو كفر". ثم يأتى شكرى إلى فكرة جماعة آخر الزمان. و"يقول رسول الله عدد دلالات قرب قيام القيامة فيقول :عمران بيت المقدس - خراب يثرب - خروج الملحمة - فتح القسطنطينية - خروج الدجال، جفاف بحيرة طبريا ونخل بيسان لا يثمر ثم هو يحاول إقناع أتباعه بأن هذه العلامات تتحقق فبيت المقدس يعمرها اليهود أرقى تعمير، ومن ثم سيكون بإمكانهم تدمير يثرب. ثم خروج الملحمة (!) ستة أعوام ويخرج الدجال فى العام السابع والملحمة هى فتح القسطنطينية وفى هذه المرحلة يكون المسلمون يفتحون القسطنطينية، وفيها يصيب المسلمون جوع شديد حتى أن أحدهم يحرق وتر قوسه ويأكله من شدة الجوع. ويكون الدجال قد عاث يميناً وعاث شمالاً عليه لعنة الله. وهذا الدجال أعور وله مواصفات فى كتب السنة أنه رجل من بنى آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس فى آخر الزمان ومعه تمثال الجنة وتمثال النار ناره جنه وجنته نار ونراجع فى ذلك "كتاب الفتن والملاحم.. كتاب النهاية لابن كثير [صـ٢٥٦] ونتوقف أمام هذا

الوصف التفصيلى للرحلة نحو آخر الزمان.. ونسأل ألم يقل شكرى "لا أجماع، لا قياس، لا مصالح مرسلة ولا رأى صحابى ولا.. ولا.. ولا وإنما قال الله وقال الرسول وحسب" [صـ٢٣٠]. فمن أين أتى بمشروعية هذا المسلسل نحو يوم القيامة وهذا الوصف للدجال؟

على أيه حال اعتبر شكرى مصطفى أن علامات القيامة تحقق بما فى ذلك "جفاف بحيرة طبريا ونخل بيسان لا يثمر" ومن ثم فهى بداية الملحمة (فتح القسطنطينية) ومن ثم تصور نفسه أمير آخر الزمان.

وقاد جماعته على هذا التصور. فكيف كان الأمر ؟

بمثل هذا الفكر، وفى إطار الحنان الساداتى والسكوت الأمنى ومع مناخ زادة السادات تأسلماً انطلق شكرى مصطفى ليقيم تنظيمه، واستخدم كل حماسه وطاقته الفتيه فى بناء تنظيم يقال انه ضم ٥٠٠٠ عضو [نبيل فارس-المرجع السابق -صـ٢١] وقد ارتبطت العناصر الأساسية فى التنظيم بشخص شكرى.. فهناك زملاؤه فى زنازين طره كعبد الرحمن أبو الخير والسماوى وغيرهما وهناك ابن أخته ماهر عبد العزيز بكرى[النائب الأول للأمير] وابن أخته الآخر هشام عبد العزيز بكرى وبعض من زملاء دراسته فى كلية الزراعة، لكن التركيبة الأساسية كانت تماماً مثل تنظيم صالح سرية طلاب صغار السن على الأغلب. وقد أجريت دراسة للتركيبة العمرية للمتهمين فى قضية اختطاف الشيخ الذهبى وقتلة وعددهم

٤٧ متهماً فكان متوسط العمر ٢٥ عاماً أصغرهم ١٤ عاما وأكبرهم ٣٩. واغلب المتهمين ترك الدراسة أو العمل وتفرغ للدعوة أو للعبادة إلى درجة أن المحقق مع المتهمين وكما هو واضح فى محاضر التحقيقات توقف بعد سؤال ٣٢ متهماً عن سؤال المتهم عن مهنته.

وفى حدود الاثنين وثلاثين متهماً الذين سئلوا عن مهنتهم كان هناك ١٧ طالباً فى مراحل دراسية مختلفة منهم تلميذ واحد فى الإعدادية. وقالوا جميعاً أنهم تفرغوا للعبادة والدعوة، إما الخمسة عشر الباقين فمنهم ٣ أتموا دراستهم الجامعية ولا يعملون، وآخر وهو أنور مأمون احمد قال انه حاصل على بكالوريوس زراعة ويعمل تاجر لكنه لم يحدد نوع التجارة، فيما قال أربعة أنهم تخلوا أو بسبيلهم للتخلى عن وظائفهم من أجل التفرغ للعبادة مع العمل فى بيع كتب دينية أو سواك أمام المساجد، ولان فكرة شكرى الأساسية هى الهجرة فقد فرضها على أتباعه، ومن لم يستطيع الهجرة بعيداً عن ارض الكفر، يهاجر بنفسه عن المجتمع الكافر، فيترك الدراسة أو العمل والأسرة ويهاجر إلى الجماعة ليقيم مع أبناء الجماعة فى واحدة من الشقق العديدة التى شكلت شبكة واسعة لإيواء الأعضاء حيث يتم تزويجهم من عضوات الجماعة مما شكل رباطا وثيقا بين العضو والجماعة. ونجد أن المتهم إبراهيم عبد المنعم أبو سنه كان طالباً بكلية الهندسة ووالده أستاذ بكلية طب جامعة عين شمس وترك ذلك كله ليبيع السواك أمام المساجد، والمتهم صفوت الزينى

والده وكيل مدرسة إعدادية وترك الأسرة، والمتهم عبد الله محمود غزالة وكان أمير مجموعة مصر الجديدة حاصل على دبلوم معهد فنى صناعى ويعمل بائع كتب دينية متجول وقال للمحقق أن ربحه كان ما بين ٦٠ قرشاً وجنيه فى اليوم. [ندوة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - المرجع السابق - صـ٢٤٨]. وكانوا فى اغلبهم فتيه مراهقون أرهقهم الفقر والاغتراب حيث تركوا قراهم ليدخلوا الجامعة فوقعوا فى فخ التحالف الشيطانى بين السادات والتأسلم. وبتسليم تام كان الفتى منهم وقد وجد مأوى وزوجه يقف أمام شكرى مصطفى ليبايعه "أبايعك على السمع والطاعة فى المنشط والمكره، وفى عسرنا ويسرنا، وعلى أثره علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن نرى كفرا بواحاً لنا فيه من الله برهان" [محضر تحقيق النيابة فى القضية ٦ لسنة ١٩٧٧ امن دولة عليا. والخاصة باختطاف واغتيال الشيخ الذهبى - أقوال المتهم محمد سعد محمد]. وحتى وهم إمام المحقق كانوا يمتدحون الأمير شكرى مصطفى، فيقول المتهم مجدى صابر عنه أنه "رجل نزيه ومخلص ومؤمن" ويقول إسلام محمد عاطف "إن لشكرى شخصية متكاملة، فهو صالح وتقى وطلق اللسان وله الفضل فى افهامى مبادئ الجماعة" أما المتهم صفوت الزينى فقد قال للمحقق "انه فخور بان فكرة مستمد من القرآن والسنة ومن التأمل مع النفس والحوار مع شكرى مصطفى" [المرجع السابق]ويقول منتصر الزيات "وكانت أفكار وأبحاث شكرى مصطفى وحده هى التى تدرس لأعضاء

الجماعة ولا يدرس لهم اى شئ آخر. وهى أفكار لا تصمد إمام العلم الصحيح ولهذا عندما كانوا يلتقون بعلماء ليناظروهم تتهاوى حججهم سريعا ولهذا فرض شكرى على رجاله منهج عدم التلقى من الآخر ووضع حاجزا حول جماعته وقال انه لا يقبل علماء السلطة"[منتصر الزيات - الجماعات الإسلامية رؤية من الداخل - صـ٤١] ويذكر ان احد قادة الحركة الإسلامية فى ذلك الوقت قد ناقش شكرى مصطفى نفسه وبعض كبار أتباعه وأقام عليهم الحجة، كان قد سجل هذه المناظرات فى شرائط كاسيت فذهبوا إلى بيته فى الطالبيه وضربوه ضربا مبرحا محاولين قتله لولا أن تداركته عناية الله"[المرجع -صـ٤٣]. . وقد أحكم شكرى مصطفى قبضته تماما على عقول أتباعه وحتى عبد الرحمن أبو الخير وكان يكبره سنا يكتب فى مقدمة كتابه "إما بعد فإن الأخ شكرى مصطفى له فى النفس محبه لا يرتقى لمثلها سوى محبة الوالد وشفقته على ولده، وله فى حياتى ذكريات بدأت من عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠) بمعتقل طره السياسى"[عبد الرحمن أبو الخير - ذكريات مع جماعة المسلمين - المرجع السابق - صـ١٩٦] وهذا الكتاب كتب بعد القبض على شكرى مصطفى وإعدامه. ويقول عبد السلام عيسى أحد المتهمين "سلطة الأمير واسعة ولا يمكن محاسبته أو مناقشته فى أمر من الأمور" وكان شكرى هو المسيطر تماماً على التنظيم ويختار وحده الأمراء ويتحكم فى مالية الجماعة. ونجح فى فرض عزله على جماعته وكأنهم فعلاً فى هجرة فعليه بعيداً عن المجتمع. ويقول

المتهم عبد الفتاح عمر مدكور أمير منطقة إمبابة "إن الجماعة كانت تلزم أعضائها بعدم الزواج من غير عضوات الجماعة لأننا لا يمكن أن نتأكد من إيمان من هن خارجها"بل أن شكرى فرض نمطاً خاصا فى تنشئة أبناء أعضاء الجماعة – وفى التحقيق قال المتهم إسلام محمد عاطف [15 سنة] إن والدته منعتة من الذهاب للمدرسة وبدأت فى تعليمه الأمور الدينية، وأن والده كان يعمل مساعداً فى القوات البحرية بالإسكندرية فترك الخدمة بعد الانضمام للجماعة و"هاجر" إلى القاهرة ومعه زوجته وأطفاله الستة وانضموا جميعاً إلى الجماعة وتتراوح أعمار الأطفال بين عام ونصف و١٥ عاماً. وقد وضع شكرى نظاماً صارماً لعقاب المخطئين من الأعضاء والعضوات "بالضرب على القدمين عدداً محدداً من الضربات" [ندوة المركز القومى – المرجع السابق – أقوال المتهم عبد الرحمن محمد عبد الرحمن] وهذا الانفراد بالسلطة والتشدد فى معاملة الأعضاء دفع البعض للانشقاق عن الجماعة لكن شكرى مصطفى حاول اغتيالهم كما حدث مع المنشق حسن الهلاوى وأخيه خالد، ورفعت أحمد أبو دلال. ويؤكد المتهم عبد الله محمود عبد الرحمن أمير مصر الجديدة أن "المنشقين مرتدون وكفره ويجب قتلهم" [ندوة المركز القومى – صـ٢٤٦] ويعترف كمال فراج أنه تلقى تدريبات عسكرية وبدنية وكيفية استخدام السلاح وأنه خشى من التقاعس فى التدريب حتى لا يتهم بالارتداد والكفر. ويروى عبد الرحمن أبو الخير أنه طلب من الأخ أبو مصعب [أنور مأمون صقر] أن يصليا

صلاة الغائب على روح كل من صالح سرية وكارم الأناضولى بعد إعدامهما فى قضية الفنية العسكرية فرفض أبو مصعب لأنهما ليسا من الجماعة المسلمة وأنه لا يجوز أن تتعدد الجماعة المسلمة فالحق واحد والجماعة واحدة" [عبد الرحمن أبو الخير – صـ٩٤].

وقد لعب شكرى مصطفى مع الحكومة "لعبة المصالح المشتركة مع الطاغوت" وهى لعبة إخوانية بالأساس. يقول عبد الرحمن أبو الخير "قال لى ماهر بكرى أن الحكومة عرضت علينا رغبتها فى التعاون معنا على أساس أننا نصرف الشباب عن العمل الانقلابى وندعو إلى الهجرة وأن الحكومة بحاجة إلى جماعتين واحدة تستوعب الخاصة من الشباب وهى نحن، وجماعة تستوعب العامة من الشباب وهى الأخوان. وقد قبلنا. وقد يقولون علينا عملاء فليقولوا. المهم أن نحقق تقدم الجماعة وأن نصبح إن شاء الله الجماعة الوحيدة فى مصر. وقد عرضت الحكومة تعويضنا عما لحق بنا وأن نرفع قضية تعويض على الصحف القومية لتشهيرها بنا، وقبلنا ووكلنا المحامى شوكت التونى. ويحذرهم عبد الرحمن أبو الخير: بذلك نكون قد قبلنا الاحتكام إلى الطاغوت. فأجابوه أن الرسول قد دخل فى جوار كافر هو مطعم بن عدى ليحميه من الكفار. ويعلق عبد الرحمن أبو الخير "أراد شكرى أن يحقق هدفه من خلال خطة الطاغوت فاصطاده الطاغوت فى شباكه".

فكيف وقع شكرى فى شباك النظام.

وفيما يمضى شكرى مصطفى برجاله فى "لعبة المصالح المشتركة

مع الطاغوت" كان عبد الرحمن أبو الخير يتذكر "فى واحدة من جلسات التثقيف قال شكرى انى اتهم بالخيانة العظمى أولئك الرجال من قادة الحركة الإسلامية الذين قادوا رجالهم الى التهلكة وفرطوا فى أعناقهم أو بوؤهم أعماق السجون، لقد أسلموا رجالهم لجلاديهم والمشانق والسجون" [أبو الخير - صـ١٥٠] وهو يقصد بالطبع قادة الإخوان وصالح سرية.. ولكنه فعل ما فعلوه وبصورة أكثر سذاجة. وكانت العملية الوحيدة فى لعبة المصالح المشتركة.. هى اختطاف الشيخ الذهبى وزير الأوقاف. وكان الذهبى رجلاً هادئاً يؤمن بوسطية الإسلام، وعندما تصاعد المد المتأسلم فى الجامعات وفى مصر كلها أصدر كتيباً من ٦٨ صفحة اشترك فى أعداده ١٩ شيخاً من رجال الدعوة بالوزارة. وكتب الذهبى مقدمته فأهداه إلى الشباب المؤمن الذى يحاول إصلاح نفسه" وقال "إن جماعة أطلقت على نفسها أهل الكهف أو جماعة التكفير والهجرة. وغالب الظن أن هذه الجماعة ليست إلا فئة من الشباب ينشد التدين فى أسمى صوره وأبعدها عن مظاهر فساد الخلق وانحراف السلوك، ولكن فريقاً من المتطرفين الذين يسعون فى الأرض فساداً قد استغلوا فى هذا الشباب حماس الدين فأتوه من هذا الجانبوصوروا لهم المجتمع الذى يعيشون فيه بأن مجتمع فاسد يجب مقاومته" [وزارة الأوقاف - قبسات من هدى الإسلام - (١٩٧٥) - مقدمة الشيخ الذهبى] وفى نفس الوقت كان النظام قلقاً من الشيخ الذهبى بسبب هجومه على المتأسلمين ويقال - ولا دليل على ذلك - أن الذهبى تصادم مع

مصالح اقتصادية للقيادات السادتية حاولت اغتصاب أراضى للأوقاف. على أيه حال قال عبد الرحمن أبو الخير وكان من أركان الجماعة "إن الشيخ شكرى وأبو عبد الله (ماهر بكرى) ذهباً ضحية لعبة المصالح المشتركة مع الطاغوت، لقد أستثمر الطاغوت حياتهم ثم استثمر مماتهم لإرهاب الكل فى وقت اقتضت فيه مصلحته ارهابهم" [أبو الخير - صـ١٥٢] وكان شوكت التونى محامى الجماعة الذى أتى أليهم عبر نصيحة من الأمن قد تسلل كما يقول أبو الخير الى عقول الجماعة وكسب ثقتهم وسرى كسريان السم الى عقولهم. وعندما اختطفوا الذهبى أصدر بياناً فى الصحف يدعوهم للحفاظ على حياة الشيخ ثم سافر إلى أمريكا لينقطع خيط الاتصال بين الجماعة والأمن ولم يعد إلا شاهداً أمام المحكمة. ولعل من حق المؤلف أن يتقدم هنا بشهادته فقد تلقيت شخصياً مكالمة تليفونيه ظهر يوم الخطف وتحدث إلى صوت واهن متوتر ليبلغنى أن "الجماعة المسلمة" اختطفت الشيخ الذهبى وأنها تشترط لإطلاق سراحه أن يسمح لها بالعمل المعلن وأن تدلى ببيان عبر التليفزيون وأن يفرج عن المعتقلين من أعضائها وأن تدفع لها الحكومة ٢٠٠ ألف جنية وسألت محدثى "وما ذنب الشيخ الذهبى فى ذلك؟" فأجاب "الله غالب على أمره" أتتنى المكالمة وأنا فى مكتبى بالأهرام وعلمت من زملائى بالأهرام أن عدداً منهم تلقى ذات الرسالة. ويسأل أبو الخير فى كتابه "إذا كانوا يريدون إنقاذ الذهبى فلماذا لم يدفعوا لهم المبلغ المطلوب ثم يقبضوا عليهم ويستردوها" وقال "أن

رغبة النظام فى التخلص من الذهبى كانت بسبب أعداده لتقرير كاشف لعمليات نهب لأملاك الأوقاف وفساد فى جهاز الدعوة". ولكننا ولكى نكون منصفين نتساءل ألم يكن من الأسهل إقالة الوزير ؟ ولكن علوى حافظ يقول "الذهبى كان عالماً فاضلاً، وقد أكتشف فساداً كبيراً وحاول مقاومته.. فقد وصل شيك إلى وزارة الأوقاف بعده ملايين من الجنيهات من شخصية عربية مرموقة لتجديد وفرش بيوت الله وأختفى الشيك والملايين فلما سأله سفير الدولة التى أتى منها الشيك لم يجد بداً من تقديم استقالته ورفض السادات الاستقالة ورسمت خطة للتخلص منه" [علوى حافظ - المنصة - صـ٣٢]. وكذلك عمر التلمسانى ألمح الى ذلك [عمر التلمسانى - أيام السادات] وأما قاضى المحكمة العسكرية التى حاكمت المتهمين فقد صرح بعد المحكمة "إن المتهمين أدعوا أن الجريمة من تأليف وإخراج مباحث أمن الدولة. وأن جثة الشيخ الذهبى نقلت إلى الشقة التى وجدت فيها بعد قتله وأن أعرافاتهم جاءت تحت التعذيب" [نبيل فارس - المرجع السابق صـ٧٧] وبمراجعة التحقيقات نجد أن شكرى مصطفى يشير كثيراً الى أن السادات هو الذى أحدث الوقيعة بين الشيخ والجماعة، ليضرب عصفورين بحجر واحد"[محضر تحقيقات النيابة العسكرية فى القضية رقم ٢٠٥ لسنة ١٩٧٧ عسكرية عليا والمتهم فيها شكرى مصطفى وآخرون]. وعلى أيه حال أتسمت عملية الاختطاف بسذاجة نادرة من طرفيها سواء الجماعة أو الأمن. ففى الثانية من فجر ٤-٧-

١٩٧٧ ، توقفت سيارتان مازدا ونصر أمام منزل الشيخ الذهبى فى شارع السايس بحلوان. أرتدى أحد المنفذين ملابس ضابط برتبة رائد ودخل المسكن ومعه ثمانية مسلحين يحمل أحدهم مدفعاً رشاشا ورغم ممانعة الشيخ وأبنه اقتادوه بالقوة الى أحد السيارتين وانطلقوا مسرعين، وخرجت ابنة الشيخ إلى الفرانده وصرخت، تجمع الجيران ليجدوا سائق السيارة الأخرى يستبدل أحد العجلات وقبضوا عليه وهو يصرخ أنا مباحث. وتتبدى السذاجة فى أن السائق لم يهرب وإنما أنهمك فى تغيير العجلة. وقبض عليه وعلى أربعة. وأمر ممدوح سالم رئيس الوزراء بالتحرى عن سكان الشقق المفروشة.. وأثناء التحرى عن شقة فى شارع محمد حسن بالهرم رفض الساكنين فيها الإدلاء ببيانات عن شخصيتهم فأثاروا وبغباء شكوك الضباط وفتشوا الشقة فوجدوا مدفع رشاش ووجد عقد إيجار فيلا أخرى بشارع فاطمة رشدى بالهرم وهناك عثروا على جثة الذهبى غارقاً فى دمائه وبدأت الاعترافات، وكالعادة أعترف الجميع على الجميع وأعترف أحدهم بأن لشكرى مسكنا فى منطقة الزهور بعزبة النخل. لكن شكرى كان هارباً وفى ٨-٧-١٩٧٧ كان عريف سرى من إدارة البحث الجنائى يجلس بمحل ترزى مجاور لهذا المنزل، وفى حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر شاهد امرأة منقبة وشخص ملثم وكأنه يستدعى الناس للشك فيه، المرأة تحمل طفلاً والملثم يحمل حقيبتين، وظهرت فتاه من شباك الشقة تشير لهما بالابتعاد لكن المخبر والترزى لحقا بهما. وسأله المخبر. فين بطاقتك ؟

فقال وكأنه يقول ارجوك اقبض علىَّ: "أنا لا أعترف بالبطاقات". ثم قال: "لو سمحتم لا يجوز أن تكون بيننا عورة أنا سأدخلها وأعود. وتركاه. وعاد [وماذا لو عاد مسلحاً؟] وسألوه. فأجاب: أنا شكرى مصطفى عايزين أيه ؟. والمثير للدهشة أن المخبر غير مسلح وليس هناك وسيلة اتصال ولا تليفون فى المنطقة كلها.. المخبر قال بهدوء مش عايزين حاجه. أتفضل أدخل ودخل. وذهب الترزى ليتصل تليفونياً وبعد عدة ساعات وصلت قوة بقيادة الرائد عادل سليم رئيس مباحث قسم المطرية. [أنه ذات العميد عادل سليم الذى قتله الإرهابى محمد صلاح أثناء هروبه بعد مقتل رفعت المحجوب] وبعدها خرجت أخبار اليوم لتزعم أن القبض على زعيم عصابة الإرهاب تم بعد أكبر حملة تفتيش على أعضاء الجماعة. [أخبار اليوم ٩-٧-١٩٧٧] وأحيلت القضية إلى القضاء العسكرى وجرى التحقيق مع ١٧٥ متهما. وبعد محاكمة هاجم فيها شكرى مصطفى القاضى والنظام صدر الحكم بإعدام كلاً من: شكرى مصطفى - ماهر بكرى - طارق عبد العليم - أنور صقر - مصطفى غازى و ١٢ بالأشغال الشاقة المؤبدة و٢٤ بالأشغال المؤقتة وبراءة ١٣. ومن المهم الإشارة إلى أن المحكمة ألحت أكثر من مرة على الشيخ متولى الشعراوى والشيخ عبد الحليم محمود موافقتها بالرأى الشرعى فى فكر الجماعة لكنهما تهربا أكثر من مرة بما دفعها إلى إثبات ذلك فى حيثيات حكمها. أما شكرى مصطفى فقد صال وجال فى المحكمة صائحاً "أنا طه المصطفى شكرى أمير آخر الزمان

وهدد رئيس المحكمة سأقتلك بطلقة مسدس فى عينيك اليسرى التى يطل منها الشيطان. وأمام حبل المشنقة سأل الشيخ الحاضر مصطفى شكرى أن يتلو الشهادتين فرد عليه: ويل لك أيها الكاهن الكافر أن عاصفة ربى ستأتى الآن لتنجينى. ورحل شكرى مصطفى تاركاً عديداً من الإتباع ما لبثوا أن انضموا إلى جماعات جهادية تنامت فى هذه الفترة وتواصلت جيلا بعد جيل لتصل إلى أيمن الظواهرى وأتباعه. ويبقى الجميع تحت مظلة سيد قطب. أى تحت مظلة الإخوان.